IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 31, No 1, 2023, pp 343 - 370

Received on (24-10-2021) Accepted on (07-06-2022)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.1/2023/13

Aesthetics of language and image symmetry in the Holy Qur'an The word "empty" (Aesthetic Study)

Dr. Yusra A. Al Yabroudi[*1]
Department of Fundamentals of Religion - Faculty of Sharia - University of Jordan – Jordan[*1]

[*]Corresponding Author: y.yabroudi@ju.edu.jo

Abstract:
This study entitled "Aesthetics of language and image symmetry in the Holy Qur'an, the word "empty"-Aesthetic study" addresses a topic mentioned in the holy Qur'an, interpretation books, and other lexicon of linguistics, presenting it in a clear and simple manner, and precise scientific methodology. The study revealed the aesthetics of the language and image in the Qaur'an through the word "empty", and made clear its various explanatory connotations.
The inductive approach was used through extrapolating the places where the word "empty" was mentioned in the Qur'an, followed by the analytical aesthetic approach represented in recognizing the aesthetic of the image and its symmetry with the work "empty" according to the interpreters' analysis and interpretations for the meaning of "empty". The study arrived at a set of findings and recommendations listed at the end of the study.

Keywords: Aesthetic, image, relationship, empty, effect.

جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن لفظة "خاوية" دراسة جمالية

د. يسرى أحمد اليبرودي[1]
قسم أصول الدين- كلية الشريعة - الجامعة الأردنية-الأردن[1]

الملخص:
هذه الدراسة الموسومة بـ(جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن، لفظة "خاوية" دراسة جمالية) تجمع بين طيات صفحاتها شتات موضوع تناثرت جزئياته وتفرقت في ثنايا آيات القرآن الكريم، وكتب التفسير، والمعاجم اللغوية، فتبينه بأسلوب واضح ميسر ومنهجية علمية دقيقة، وقد تناولت الدراسة جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن الكريم من خلال لفظة "خاوية"؛ فبينت مفهوم الجمال والصورة وعلاقتهما التناسبية، ثم رصدت الدراسة جماليات التصوير والتنسيق في لفظة "خاوية"، وكشفت عن دلالاتها التفسيرية المتنوعة لدى أهل التفسير.
واتبعت الباحثة في هذا البحث المنهج الاستقرائي من خلال استقراء مواضع ورود ذكر لفظة" خاوية"، وأعقب ذلك المنهج التحليلي الجمالي متمثلا النظر في آيات جمال التصوير وتناسبه مع لفظة "خاوية" وفق تحليل المفسرين وتأويلاتهم لمعنى لفظة" خاوية"، وقد وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أوردتها الباحثة في نهاية الدراسة.

كلمات مفتاحية: الجمال، الصورة، العلاقة، خاوية، تأثير.

المقدمة:

الحمد لله على ما أنعم الله به علينا وتفضل، الحمد لله على ما هدانا إليه وأرشد، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، معلم البشرية، خير البلغاء والفصحاء وعلى آله وصحبه العظماء النجباء، أما بعد:

سبحان من زرع في الإنسان حُبّ الجمال، وتأمله وتذوقه في كل ما تقع عليه عينه، ويلمحه بصره، وتسمعه أذنه، ويدركه عقله وتشعر به حواسه، فسبحان من جمع الجمال وزينه في كتاب عظيم نظمه ورتبه، وساق دقائق معانيه، ونوع دلالاته، وجعله جميلا بصوره وتراكيبه، وترتيب حروفه، وتنسيق كلماته، بليغاً بلغته، أنيقاً بجمله ومفرداته، فسبحان الذي نظمه وأتقن صنعه، وأبدعه وأنزله وحفظه وعلمه لنبيه وأمته، وجعله نورا يسري بين الخلق لقيام الساعة، يهدي إلى سواء السبيل، ويرشد الضال للصواب والطريق.

لقد اهتمت الدراسات قديما وحديثاً بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه؛ هذا الكتاب المُعجِز في كل ما فيه، من حروفه وألفاظه ومعانيه وحركاته ودقائقه وجزئياته، الموصوف بقوله سبحانه وتعالى:﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ (البقرة: 2). فالقرآن الكريم اشتمل على تعاليم الدين والدنيا وفي القرآن الكريم من الجمال ما يتخطى المدركات، ومن الوصف ما تعجز عنه الألسن، وتحار به العقول الأفكار، فألفاظه منظومة متكاملة ذات إيقاع جميل، وصوره مترابطة متسقة، فأينما تقع عينك على لفظ منها تجد فيها من الجمال اللغوي، والسحر الدلالي ما يذهب بك إلى عوالم جمالية، وصور تكاملية، ومشاهد وصفية خلابة، فالله سبحانه وتعالى يعلم أهمية وقوع اللفظ في القلب والعقل، ويعلم حاجة الإنسان لجمال الكلمات والمفردات، "فالله جميل يُحبُّ الجمال"[1]. لذا ضَمّنَ الله سبحانه وتعالى آيات كتابه الحكيم صوراً جميلة متطابقة مع مفردات الآيات ودلالاتها اللفظية والتفسيرية، فكان اللفظ والصورة كلاً متكاملاً، متسقاً منتظماً، يخلو من أي نقص أو خلل.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة باحثة في جماليات اللفظ والصورة، وما بينهما من مطابقة دلالية ومعنوية من خلال تمثلها للفظة " خاوية" التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم في آيات مختلفة، في كل موضع تضمنت صوراً جمالية ، ودلالات معنوية، وتطابقية بين اللفظ والصورة، مغايرة عما سبقها، فكانت لفظة شاملة متكاملة لا يمكن استبدالها بلفظة أخرى تؤدي معناها أو ما قامت به في سياق الآيات الكريمة، وهذا من تمام الإعجاز القرآني وبلاغته، وعظمة منزِّله وحافظه، فسبحان الله الخبير بمواطن الأشياء والألفاظ والكلمات، المتفرد بتمام الكمال والجمال.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة فيما يأتي:

1. ما المقصود بالجمال لغة واصطلاحاً ؟
2. ما المقصود بالصورة لغة واصطلاحاً ؟
3. ما معالم لفظة خاوية في آيات القرآن الكريم؟
4. ما العلاقة بين الجمال والصورة في القرآن الكريم ؟
5. كيف جاءت الصور البلاغية في الآيات الكريمة التي تضمنت لفظة خاوية؟
6. ما المعاني والدلالات التفسيرية للفظة خاوية في كتب التفسير؟

أهداف الدراسة وأهميتها:

إن أهمية الدراسة تكمن في الأمور الآتية:

1. توضيح معنى الجمال لغة واصطلاحاً.
2. توضيح معنى الصورة لغة واصطلاحاً.

[1] النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر (ج1/ ص93) حديث رقم (147).

3. الكشف عن مواطن لفظة خاوية في آيات القرآن.
4. بيان العلاقة التناسبية بين الجمال والصورة في القرآن.
5. توضيح الصور البلاغية للفظة خاوية من خلال الآيات الكريمة.
6. بيان المعاني والدلالات التفسيرية للفظة خاوية الواردة في الآيات الكريمة.

الدراسات السابقة:

إن الدراسات والكتب التي تناولت موضوع جماليات تناسب الصورة واللفظ في القرآن الكريم كثيرة، لكن بحسب اطلاعي لا توجد دراسة مخصصة تناولت عملية التناسب بين الألفاظ والصور كما تناولت هذه الدراسة عملية التناسب في لفظة "خاوية" وكشفت عن جمالياتها التصويرية والبلاغية واللفظية والتفسيرية في سياقها القرآني الكريم، فجميع المؤلفات والكتب تناولت الصورة والتصوير في آيات القرآن الكريم بصورة عامة، ومن ذلك:

1. دراسة محمد حسن الصغير (1978) بعنوان: الصورة الفنية في المثل القرآني: دراسة نقدية بلاغية.
2. دراسة ضياء الدين الجماس (1990) بعنوان: التصوير والرمزية في الأمثال القرآنية .
3. دراسة عبد السلام أحمد (2001) بعنوان: وظيفة الصورة الفنية في القرآن.
4. دراسة محمد قطب (2006)، بعنوان: جماليات التصوير في القرآن الكريم.
5. دراسة محمد طوال (1995) بعنوان: الصورة الفنية في القرآن.
6. دراسة نور الدين دحماني (211-2012) بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء.
7. دراسة عيد سعد يونس (2006) التصوير الجمالي في القرآن الكريم.
8. دراسة الوليد عبد الله محمد أحمد (2017) بعنوان: الصور البلاغية في بعض سورتي البقرة وآل عمران: دراسة تحليلية وصفية.
9. دراسة ديمه مصعب (2020)، بعنوان: الصورة التمثيلية في الزهراوين: دراسة تحليلية بيانية.

إن جميع هذه الدراسات أشارت إلى الصورة وجمالياتها في آيات القرآن الكريم ، لكنها خلت من أمرين مهمين، هما: بيان جمالية الصورة في لفظة "خاوية"، وعدم التعرض للتناسب اللفظي والتصويري في آيات القرآن الكريم. أما هذه الدراسة فقد اعتنت بالصورة الجمالية والتناسب اللفظي في القرآن الكريم من خلال اتخاذ لفظة "خاوية" نموذجاً لبيان هذه الجمالية التصويرية والتناسبية اللفظية، وذلك بعد أن حصرت الآيات التي ورد فيها لفظة (خاوية) في القرآن الكريم، وبينت ما تتضمنه هذه اللفظة من جماليات التصوير وتناسب اللفظ، ودلالاته البلاغية والتفسيرية .

منهج البحث: لقد اعتمدت الدراسة على المنهجين الآتيين:

1. المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الآيات القرآنية الكريمة الواردة فيها لفظة خاوية.
2. المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة جمالية تناسب الصورة واللفظ في لفظة خاوية الواردة في الآيات القرآنية، وتحليلها تحليلاً جمالياً وبلاغياً وموضوعياً؛ لضبط بعض ميادين الجمال ومظاهره في بعض صور القرآن الكريم المتعلقة بلفظة خاوية ؛ للخروج ببعض النتائج المستفادة من هذه الآيات القرآنية.

خطة البحث: اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى مقدمة: واشتملت المقدمة على مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة وأهميتها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث. ثم جاء المبحث الأول بعنوان " **مفهوم الجمال والصورة، وعلاقتهما**" وانقسم إلى ثلاثة مطالب، هي:

1. **الأول** "الجمال لغة واصطلاحاً"

2. **الثاني:** الصورة لغة واصطلاحاً
3. **الثالث:** علاقة الجمال بالصورة.

أما المبحث الثاني، فحمل عنوان : "جمال التصوير والتنسيق في لفظة "خاوية" في آيات القرآن الكريم" وتضمن ثلاثة مطالب، هم:

4. الأول: مفهوم لفظة (خاوية) في المعجم اللغوي.
5. الثاني: النواحي التفسيرية والعلاقات الجماليات التصويرية في لفظة "خاوية" في آيات القرآن الكريم.
6. أولا: المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.
7. ثانيا: العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.
8. الثالث: تأثير جماليات تناسب الآيات لفظياً وتصويرياً في النفس البشرية.
9. **الخاتمة. واشتملت على أهم النتائج والتوصيات**
10. **ثبت المصادر والمراجع.**

المبحث الأول: مفهوم الجمال والصورة، وعلاقتهما.

يتراوح مفهوم الجمال والصورة في اللغة العربية بين المعنى المعجمي والمعنى الاصطلاحي، فالمعاجم العربية استطاعت رصد لفظتي الجمال والصورة وتتبع جذورهما اللغوية، بينما تراوح مفهومي الجمال والصورة اصطلاحاً في نظر الباحثين والدارسين بين معاني مختلفة، وستقف الدراسة على هذه المعاني والمفاهيم واحدا تلو والآخر.

المطلب الأول: الجمال والصورة لغة واصطلاحاً.

أولا: الجمال لغة.

وردت لفظة الجمال في معاجم العربية على أصلين" فالجيم والميم واللام أصلان: أحدهما تَجَمُّعُ وَعِظَمُ الْخَلْقِ، وَالْآخَرُ حُسْنٌ. فالأول قولك أجملتُ الشيء، وهذه جملةُ الشيء، وأجملته حصلته، والأصل الآخر الْجَمَالُ، وهو ضد القُبح، ورجل جَمِيلٌ وَجُمَالٌ"[1]. وذكر صاحب اللسان "الجمال مصدر الجميل، والفعل جَمُلَ أي حسن"[2] فالجمال مصدر لكل جميل وبهاء وحُسن في الخُلقِ والخَلقِ، قال الفراهيدي:" الجميل بمعنى بهاء وحُسن"[3]. وجاء في القاموس المحيط الجمال من: "جَمُل ككرُمَ، فهو جميل، كأمير"[4]

ثانياً: الجمال اصطلاحا.

تعدد مفهوم الجمال وتنوعت تعريفاته، والسبب عائد إلى مفهوم الجمال نفسه، فالجمال معنى من المعاني لا يقوم بنفسه، بل يقوم بغيره وكذا اختلاف الأفراد في تقديرهم للجمال وفي درجة تذوّقهم له[5].

– الجمال من الناحية الاجتماعية هو " الإحساس الذي يبدو عندما يبلغ الشيء قدرا من الإتقان والكمال"[6] . وهو من الناحية النفسية " إدراك للعلاقات المريحة التي يستجيبلها الإنسان في شتى العناصر"[7]. وهذا التعريف يشير إلى التناسب والتناسق بين الجمال وغيره من الأشياء، إذ تعد هذه الخاصية من أهم الخصائص التي يتميز بها الجمال.

---

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة (ج1/ 481)

[2] ابن منظور، لسان العرب، مج1 (ج1/ 503)

[3] الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم (ج1/ 260– 261)

[4] الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ج3/ 480– 481).

[5] الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام (ص24).

[6] نظمي، علم الجمال الاجتماعي (ص35– 36).

[7] البسيوني، تربية الذوق الجمالي (ص16)

11. الجمال من ناحية النفسية هو" القيمة الموجودة في الصور والمعاني المبثوثة في الكون، التي يدركها العقل، وتستشعرها النّفس، ويستجيبلها السلوك بشكل إيجابي ، لما يترتّب على إدراكها من متعة ورضا "[1] .

12. الجمال من الناحية التربوية هو؛ كمال في الأعضاء وتناسب بين الأجزاء مقبول عند النفس"[2]. وهو نوعان؛ "جمال مثالي موضوعي، يصل إليه العقل المجرد المستنير بالعلة الأولى، لا بالحواس القاصرة المضللة، ولهذا فهو جمال مطلق ثابت غير متغير ولا نسبي، والجمال المادي: يوصل إليه بالحواس، ولهذا فهو نسبي شرطي متغير خاضع للمتغير الاجتماعي، وتابع للعادات والتقاليد المحلية، والطبائع البشرية"[3].

13. الجمال من الناحية الفلسفية : كل شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له"[4]بمعنى أن يتوفر التناسب بين الصفة والموصوف، فلا يمكن أن نطلق على شيء قبيح صفة الجمال، وعلى شيء جميل صفة القبح فهذا أسلوب يخلو من التناسب، وبذلك فإن من مقاييس الحكم على جمال الأشياء هو التناسب لا التنافر، ومن هنا فإن الجمال مرتبط بالتناسب بين شيء وآخر، كتناسب صفة الجمال للموصوف، وتناسب جمال اللفظ والصورة، وتناسب جمال الشكل الخارجي مع الصفات الداخلية؛ لذلك فإن أجمل الجمال وأكمله أن نعرف جمال الله في حسن تدبيره وتنظيمه "فمن أعز أنواع المعرفة معرفة الله سبحانه وتعالى بالجمال، وهي معرفة خواص الخَلْقِ، وكلهم عرفهم بصفة من صفاته ليس كمثله في سائر صفاته، ويكفي في جماله، أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال"[5]. وتكمن معرفة جمال الله من خلال تدبر كتابه العظيم، وتتبع سياقات آياته، والنظر في تكامله وجزئياته، في صوره ودلالاته، فالجمال المقصود في هذه الدراسة هو جمال الصورة القرآنية المنسجمة مع تناسب اللفظ ودلالات المعنى لهذه الصورة.

14. المطلب الثاني: الصورة لغة واصطلاحاً:

أولا: الصورة لغة.

تعرف الصورة لغة بأنها "الشكل والجمع صُوَرٌ، وصِورٌ، وصُوْرٌ، وقد صَورهُ فَتَصورَ، وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير التماثيل، والصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ وهيئته وعلى معنى صفته"[6] بينما عرفت الصورة عند ابن فارس بقوله: "الصورة صورة كل مخلوق، والجمع صُوَرٌ، وهي هيئة خِلْقَتِهِ، والله تعالى الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ، ويقال رَجُلٌ صَيِّرٌ إذا كان جميل الصورة"[7]. وجاء في الصحاح" صَوَّرَهُ الله صُورَةً حسنةً، فتَصَوَّرَ، ورجلٌ صَيِّرٌ شَيِّرٌ، أي حسن الصورة والشارة، وتصورت الشي: توهمت صورته فتصور لى والتصاوير التماثيل"[8]. وقال الفيروز آبادي "الصورة بالضم الشكل، وصُوَرٌ وصِوَرٌ، كعِنَب، وصُوْرٌ، وقد صَوَّرَه فَتَصَوَّر، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة"[9].

---

(1) عرابي، التربية الجمالية رؤية إسلامية (ص46).

(2) التوحيدي، الهوامل والشوامل (ص25)

(3) رواس، مدخل إلى علم الجمال الإسلامي (ص18).

(4) ابن سينا، النجاة (ص245).

(5) ابن القيم، الفوائد (248).

(6) ابن منظور، لسان العرب، (ج4/ 473-474).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج3/ 319-320).

(8) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج2/ 717).

(9) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (ج1/ 427).

ثانياً: الصورة اصطلاحاً:

عرفت الصورة مفاهيم مختلف؛ فمنها:

15. الصورة من المفهوم البلاغي.

أخذت الصورة حيزاً واسعاً عند كثير من البلاغيين أمثال الزمخشري والسكاكي، والجرجاني الذي قال:" اعلم أن الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة...ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقاً، عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك"[1]. وعلى الرغم من أن البلاغة العربية حاولت الوقوف على مفهوم الصورة إلا أنها لم تتمكن من وضع مفهوم مستقر يتسم بدقة والوضوح، بل كان منظور البلاغيين للصورة جزئي؛ لذلك وصفت نظرتهم إليها بأنها " نظرة سطحية؛ فهي تهدف إلى الشرح والتوضيح أو التحسين أو التقبيح أو المبالغة أو الإقناع"[2].

16. الصورة في الدراسات القرآنية المعاصرة.

أخذت الصورة موقعها ومكانتها في الدراسات القرنية المعاصرة، إذ تكاملت مفاهيمها وجزئياته، حيث اشتملت تعريفات الدراسات القرآنية المعاصرة على مختلف العلاقات التكوينية للصورة، فالصورة في القرآن الكريم "أوسع وأشمل من التقديم البصري وحصرها فيه تضييق لقدراتها المتنوعة والغنية"[3]. وهذا راجع للبلاغة القرآنية المعجزة في توظيفها لعملية التناسب بين اللفظ والصورة، القائم على الإعجاز اللغوي والدلالي واللفظي، والمتعلق بالبعد النفسي والإدراكي للمتلقي؛ لذلك تعد الصورة في القرآن الكريم صورتان، هما: "صورة رامزة يشكلها الأداء، وصورة أخرى موازية لها ترتسم بمخيلة المتلقي وتتصل بالإيحاء"[4].

ومن هذا المنظور فالصورة في الدراسات القرآنية هي طريقة التعبير والإفهام والإعجاز والهداية، "فالقرآن يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة"[5]. فالصورة في القرآن عبارة عن نسيج من العلاقات المقترنة المتبادلة فيما بينها، وهذه العلاقات لا تقوم بمجرد الاعتماد على المشاهد أو التصوير بل تحتاج إلى انسجام لفظي، وهنا لا بد من القول إن الصورة التي استخدمها القرآن الكريم نابعة من" طريقة التصوير البيانية المتخيلة للتعبير عن موضوعاته، وجعلها قاعدة التعبير البياني فيه، فالإنسان عندما يقرأ الآيات يتخيل في خياله مناظر فنية، وكأنه يرى صوراً ومشاهد ولقطات معروضة على شاشة العرض أو خشبة المسرح المتخيلة"[6]. إذن فالصورة في مفهوم الدراسات القرآنية المعاصرة تعمل على آلية "إثارة الحواس المختلفة، والعواطف المتباينة، ما يثبت الصورة في الإدراك والوجدان"[7]. ولعل مرد هذا التثبيت هو عملية التناسب اللفظي والدلالي بين اللفظ والصورة التي تولد الجمال التعبيري والتصويري.

---

[1] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني (ص466).

[2] عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب (ص364).

[3] عصفور، الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي(ص297– 298).

[4] دحماني، بلاغة الصورة الفني في الخطاب القصصي القرآني، (ص97).

[5] قطب، التصوير الفني في القرآن (ص36).

[6] الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني (ص338).

[7] عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم (ص34).

المطلب الثالث: علاقة الجمال بالصورة في القرآن.

ترى هذه الدراسة أن علاقة الجمال بالصورة في القرآن الكريم تنبع من خلال عمليتين هما: التناسب والتكامل؛ أما عملية التناسب فهي التي تكمن في تناسب اللفظ والمعنى وانسجامهما، بينما عملية التكامل هي التي تكمن في تكامل الجزئيات المستمدة لتكوين الصورة من مثل المشاهد الطبيعية، والأشياء والمسميات المألوفة للإنسان. فهاتان العمليتان تؤديان بالصورة القرآنية إلى جمالية خاصة، لا سيما وأن الجمال لم يعد فقط في الأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة، بل بات يستعمل كذلك في الصور "[1]

إن عملية التناسب بين التراكيب من الألفاظ والمعاني والأدوات في القرآن تؤدي إلى تشكيل صورة تمتاز بالقوة والرصانة والإحكام، والملاحظ أن هذا التناسب في الصورة القرآنية يتم وفق آلية معينة، فمرة يتوفر في الألفاظ أدوات التصوير كحرف (الكاف) أو لفظة (مثل)، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾(البقرة: 17). ومرة أخرى يأتي التناسب اللفظي خالياً من هذه الأدوات، مما يتيح لعملية الانسجام والتناسب اللفظي والدلالي بين الكلمات تكوين صورة، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل:88). فهذه الآية تخلو من أدوات التصوير إلا أنها صنعت صورةً جماليةً معبرةً بالاعتماد على تناسب الألفاظ وانسجام معانيها وانتظامها.

ومن هنا فإن إحدى جماليات تشكيل الصورة في القرآن هو ما يقوم به اللفظ "برنينه الصوتي، والجملة بتراكيبها المتنوعة، وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحيّ، حركة وتأثيراً"[2]. وهذا الأمر لا يتم دونما أن يكون للتخييل في العقل الإنساني دور، وهو ما أطلق عليه الدارسون (التخييل النفسي) إذ يعتمد هذا الأسلوب على "إخراج اللفظ من دائرة المعنى المجرد إلى الصورة المحسوسة والمتخيلة"[3]. فالألفاظ في القرآن الكريم مفردات مجردة خارج سياقها القرآني، وعندما تنسجم وتنتظم في سياق الآيات فإنها تولد تراكيب لفظية ذات أبعاد دلالية وصور جمالية " فالصورة القرآنية تعمل عملها في الخيال وتثير فيه أحاسيس ومشاعر مختلفة، وكلّما قوي الخيال كانت الصورة أوضح وأشرق، فالقرآن يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن مختلف الأغراض فيه، ولذلك كان التخيّل الحسّي هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الصورة، إنها تدع الخيال يعمل فيها وفي جزئياتها ويتخيلها على مختلف الأشكال، كما تدع الحس يتأملها ويتأثربها "[4].

أما بالنسبة لعملية التكامل؛ فهي الجزئية المكملة لعملية التناسب لإخراج صورة قرآنية متناسقة، وهذه العملية لا تتم إلا من خلال جملة من العناصر المستمدة من تكوينات مختلفة من الماديات والمحسوسات المحيطة بالإنسان؛ وهو ما يطلق عليه التشخيص والتجسيم، أما التشخيص فهو الذي: "يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، وتشمل المواد والظواهر والانفعلات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية "[5].

أما التجسيم فهو: "تجسيم المعنويات المجردة وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم "[6] وهو أيضاً: "تضخيم المنظر وتجسيمه حينما يكون الجو والمشهد يقتضيان ذلك "[7]. فالمتدبر للآيات الكريمة يدرك أن جمالية الصور القرآنية كما ذكرنا سابقا لا تأت من

---

[1] العسكري، الفروق في اللغة (ص163- 164).

[2] عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن الكريم (ص5).

[3] قطب، التصوير الفني في القرآن (ص 117- 118).

[4] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب (ص143).

[5] قطب، التصوير الفني في القرآن (ص61).

[6] الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب (ص61).

[7] البوطي، من روائع القرآن (ص171).

لفظة مجردة؛ إنما تحتاج إلى مرجعية دلالية تنسجم فيه اللفظة وتتشكل من خلاله الصورة، وهذا السياق كثيرا ما يكون مستمدا من التراكيب القائمة على حالة التجانس والتناسب والانسجام، إضافة إلى ذلك فإن الصورة تستمد جمالياتها التجسيمية والتجسيدية من "عناصر الطبيعة، وذلك هو سر خلوده، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة، وسر عمومه للناس جميعا، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم، فلا تجد في القرآن تشبيهاً مصنوعاً يدرك جماله فرد دون آخر، ويتأثر به إنسان دون إنسان"[1]. فالطبيعة إحدى ميادين التصوير القرآني، وهي بما تتضمنه من ماديات وأشياء ومخلوقات تشكل عنصراً مهما من عناصر تكوين الصورة القرآنية.

وتأتي علاقة الجمال بالصورة القرآنية من خلال أهميتها ودورها وانعكاساتها وتأثيراتها على المتلقي؛ لذلك يلحظ الدارسون أن "أسباب عدول القرآن الكريم عن مخاطبة الذهن البشري إلى مخاطبة صوت الحسّ والوجدان متوسلاً بالتصوير عوضاً عن التقرير أن العقل الإنساني مهما بلغ من نضج وتفتّقت طاقاته يظل إدراكه محدوداً وقاصراً عن استيعاب عجائب القدرة الإلهية بيسر فلمنطق التصوير حيويته ومرونته وسحره في تبيان شتى مقاصد القرآن وجوانبه، ووسيلته في ذلك تحويل المجردات إلى محسوسات يستشعرها الحسّ ويتأثر بها الوجدان"[2].

كما أن العلاقة بين الجمال والصورة في القرآن الكريم نابع من التمازج اللفظي والانسجام التركيبي والانفعال العاطفي والإدراك الحسي والعقلي مع المشاهد المستمدة من الطبيعة وما يحيط بالإنسان من أشياء وماديات يعرفها ويدركها؛ فالقرآن الكريم بأسلوب تصويره الجمالي والإبداعي خلع الحياة على الكون، وكساه صفات البشر من عواطف وأحاسيس ومشاعر، وأعطى الجمادات انفعالات وتأثرات، ووهبها صفات إنسانية فشاركت الآدميين وأخذت منهم وأعطتهم وتبدت لهم في شتى الملابسات، وجعلتهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه أعينهم، أو يتلبس به حسهم، فيأنسون بذلك الوجود، أو يرهبونه في توفر وحساسية وإرهاف[3]

فالصورة في القرآن جسم متكامل ينبض بالعلاقات المتفاعلة المحققة للانسجام والتجانس القائمين على طبيعة الصورة القرآنية وموضوعها وأسلوب توظيفها لذلك تشكل الصورة في القرآن الكريم جزءاً من الخطاب القرآني، وهي "مدرسة جمالية وروحية ربّانية متكاملة"[4]؛ لذا فإن الناظر في جمالية الصورة القرآنية يدرك أن العلاقة تكاملية وأنها نسيج مؤتلف من البنيات التركيبية الداخلية التي تخترق الوجدان والقلوب قبل العقول؛ لأن الجمال لا يقتصر فقط على الشكل والهيئة والمظهر، أو جمال الصفات الخَلقية والخُلقية، إنما هنالك جمال قرآني متعلق باللفظ، ومرتبط بالمعنى، جمال لغوي خاص، وسحر خلاب، جمال في النظم، وحُسن التعبير، ودقة التناسب والأسلوب، جمال يجمع بين ضفتيه حُسن التصوير، وحُسن السبك والنظم.

المبحث الثاني: جمال التصوير والتنسيق في لفظة "خاوية" في آيات القرآن الكريم.

يتميز القرآن الكريم بألفاظه العديدة، ومفرداته المختلفة، وتراكيبه المنتظمة ذات المعاني والدلالات المتنوعة، كما يتميز بأسلوبه المحكم المنتظم فلا يوجد لفظ في القرآن جاء في غير موضعه، ولا دل على غير معناه، ولعل لفظة (خاوية) بما تحمله من دلالات معنوية وجمالية إحدى هذه الألفاظ، إذ شكلت هذه اللفظة حالة تناسبية عبرت عن علاقة تشاركية بين اللفظ والمعنى، فأنتجت صورة جمالية جذبت فكر المتلقي وأنظاره، وستحاول الدراسة في هذا المبحث ملامسة جمالية الصورة وإبراز دور اللفظة في إنتاجها.

المطلب الأول: معاني لفظة خاوية ومرادفاتها وأضدادها في اللغة.

تكررت لفظة خاوية في المعجم العربي بمعاني عدة، فقد ذكر صاحب اللسان أن خاوية أصلها " خوا: خَوَتِ الدارُ: تَهَدَّمَتْ وسَقَطَتْ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً﴾ (النمل: 52)؛ أي خالية، كما قال تعالى﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾ (البقرة:

---

[1] بدوي، من بلاغة القرآن (ص151).

[2] يونس، التصوير الجمالي في القرآن الكريم (ص130).

[3] قطب، التصوير الفني في القرآن (ص64).

[4] دحماني، بلاغة الصورة الفني في الخطاب القصصي القرآني (ص101).

259). أي خالية، وقيل ساقطة على سقوفها، وخَوَّتِ الدارُ وخَوِيَتْ خَيّاً وخُوِيّاً وخَواءً وخَوَايَةً :أَقْوَتْ وخَلَتْ مِنْ أَهلها. وأَرضٌ خاوِيَةٌ :خالِيةٌ مِنْ أَهلها، وَقَدْ تَكُونُ خَاوِيَةً مِنَ الْمَطَرِ. وخَوَى البيتُ إِذَا انْهَدَمَ؛ وخَوَى إِذَا سَقَطَ وخَلا، وعُروشُها سُقُوفها؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ :أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ [1].

أما صاحب تاج العروس فقال: "خوى أي خَوَتِ الدَّارُ، خَواءً، بالمدِّ: تَهَدَّمَتْ أو أَقْوَتْ، وكذلِكَ إذا سَقَطَتْ. وخَوَّتْ بالتشديد، وهذا لم أره في الأصول ولعله من زيادة النساخ، والصحيح خَوَتْ، وخَوِيَتْ كرَضِيَتْ، خَيّاً بالفَتْحِ، وخُوِيّاً، كعُتِيَ، وخَواءً: مَمْدود، وخَوايَةً كسَحابَة: خَلَتْ مِن أَهْلِها: وَهِي قائِمَةٌ بِلَا عامِرٍ. وأَرضٌ خاوِيَةٌ: خالِيَةٌ مِن أَهْلِها، وَقد تكونُ خاوِيَةً من المَطَرِ. والخَوَى بالقَصْر: خُلُوُّ الجَوْفِ من الطَّعامِ؛ ويُمَدُّ والقَصْرُ أَعْلى. والخَوَى: الرُّعافُ، والخَواءُ: بالمدِّ: الهَواءُ بينَ الشَّيئينِ، وكَذلِكَ الهَواءُ الَّذِي بينَ الأَرضِ والسَّماءِ والخَواءُ؛ الخَوُّ وَهُوَ الجُوعُ. والخُوَاءُ، بالضَّمِّ (كغُرابٍ:) العَسَلُ، خَوَتِ النُّجومُ تَخْوِي خَيّاً: أَمْحَلَتْ، أَو سَقَطَتْ، فَلم تُمْطِرْ فِي نَوْئِها[2].

وزاد الأصفهاني بقوله "أصل الخَوَاء: الخلا، يقال خَوَى بطنه من الطعام يَخْوِي خَوًى، وخَوَى الجوز خَوًى تشبيها به، وخَوَتِ الدار تَخْوِي خَوَاءً، وخَوَى النجم وأَخْوَى: إذا لم يكن منه عند سقوطه مطر، تشبيها بذلك، وأخوى أبلغ من خوى، كما أن أسقى أبلغ من سقى. والتّخوية: ترك ما بين الشيئين خاليا [3]. أما في المعجم الوسيط فقد وردت لفظة الخاوية بمعنى " الداهية"[4]. إذن نستنتج أن لفظة خاوية في المعجم العربي تحمل دلالات متنوعة، فهي قد تأتي بمعنى التهدم، أو السقوط، أو الخلو، أو الإقفار، أو الإمحال، أو الفراغ بين الشيئين.

أما مرادفاتها لفظة خاوية وأضدادها في اللغة فهي كثيرة جداً. ولعل من أهمها: خَالِيَة، خَلا، خَلاَء، قَفْر، مَهْجُورَة، مُعَطَّلَة، مُقْفِرَة، مُوحِشَة، فارغة، أما عن أضدادها في اللغة فهي: آهِلَة، عامِرَةٌ، مسكونَةٌ، مَأْهُولَةٌ، مُكْتَظَّةٌ.

المطلب الثاني: النواحي التفسيرية والجماليات التصويرية في لفظة "خاوية" في آيات القرآن الكريم.

تكررت لفظة (خاوية) في القرآن الكريم في مواضع عدة، وتنوعت معها الصور الجمالية والمعاني الدلالية، فمن أساليب التصوير القرآني استقلال اللفظ في تشكيل الصورة " فقد يستقل لفظ واحد، لا عبارة كاملة، برسم صورة شاخصة، لا بمجرد استكمال معالم الصورة"[5]. كما قد تأتي الصورة الجمالية قائمة على تكامل العلاقة بين لفظة ما والتراكيب التي وردت في سياقها، وهذا ما سنلمسه وندركه من خلال تبيان دور لفظة خاوية في تناسب اللفظ وتشكيل الصورة في الآيات الكريمة التي جاءت على النحو الآتي:

أولا: لفظة خاوية في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 259).

1. المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.

دلت لفظة خاوية في الآية الكريمة على معاني عدة، من ذلك ما ذكره الطبري بقوله: "وهي خاوية: وهي خالية من أهلها وسكانها، وأما العُرُوش، فإنها الأبنية والبيوت، واحدهاعَرْش، وجمع قليلهاأعرُش"[6]. أما البغوي فيرى أن الخواء ليس للسكان إنما للمكان، فقال:"

---

[1]ابن منظور، لسان العرب (ج14/ 245)

[2]الزبيدي، تاج العروس (ج38/ 22- 24)

[3]الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (ص305).

[4]مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، (ج1/ 263)

[5]حمادي، التصوير الفني في القرآن (ص76)

[6]الطبري، التفسير الكبير (ج5/ 444- 445).

(وَهِيَ خَاوِيَةٌ) فمعناها ساقطة، ويقال خوي البيت بكسر الواو يخوي خوى، مقصوراً إذا سقط، وخوى البيت بالفتح خواء ممدودا إذا خلا، ومعنى على عروشها سقوفها، ومعناه أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها[1]. بينما ذهب ابن عطية إلى القول إن خاوية جمعت بين معنى سقطت حيطانها على سقفها، والعريش سقف البيت وكل ما يهيأ ليظل أو يكن فهو عريش ومنه عريش الدالية والثمار، وبين معنى خاوية من الناس على العروش أي على البيوت، وسقفها عليها لكنها خوت من الناس والبيوت قائمة[2]. والمشهور في القرية الخاوية أنها بيت المقدس، وهي خاوية أي ليس فيها أحد، مِنْ قولهم خوت الدار تخوي خويا. وقوله على عروشها أي ساقطة على سقوفها وجدرانها على عَرَصَاتِهَا، فتوقف متفكراً فيما آل إليه بعد الْعِمَارَةِ العظيمة، وقال أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها؟ وذلك لما رأى من دُثورها وشدة خرابها وبُعدها عن العود إلى ما كانت عليه[3].

2. العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.

أوجدت الألفاظ والتراكيب الواردة في الآية الكريمة علاقات تناسبية أدت إلى تكوين صورة جمالية معبرة عن مضمون عقيدة قدرة الله سبحانه وتعالى على البعث والإحياء والإماتة، أو كما قال السعدي: "وهذا أيضا دليل آخر على توحد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء"[4]. وقد تجلت تناسبية الصورة الجمالية في الآية الكريمة من خلال الدور الذي قامت به لفظة خاوية في السياق التركيبي للآية الكريمة، إذ جاءت الجملة الاسمية (وهي خاوية) موضحة حال القرية، قال أبو حيان: "وهذه الجملة موضع الحال من الفاعل الذي في مرّ، أو من قرية [5]. ويلاحظ المتتبع للفظة خاوية أنها جمعت بين طياتها دلالات الوصف والتعبير عن الحال، فقد أوضحت لفظة خاوية حال القرية من خلال التركيب اللغوي المتضمن واو الحال، والضمير (هي) الواقع مبتدأ، ثم الخبر الذي تضمنته لفظة خاوية ، والذي يخبرنا عن حال القرية، ثم يلحظ المتلقي أن لفظة خاوية تضمنت وصفا مبطنا للقرية، إذ "سقطت السقوف أولا ثم تلتها الأبنية، وهذا التصوير تجسيد شعري لفناء المحدثات، يبدأ الفناء بالعوالم والكائنات الحية ثم تتلوها الجمادات، ومعنى ذلك أن الآثار وهي المباني تبقى بعد أربابها لتدلّ على تمكنهم وقوتهم، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء، وسيدركها الخراب فتسقط متداعية ثم تسقط فوقها العروش، والسقوف المشيدة، فتذهب الآثار"[6].

لقد تجسدت الصورة الجمالية في الآية الكريمة من خلال تخيير التشبيه على طريقة التشبيه، أو كما قال ابن عاشور في معنى التشبيه والتمثيل؛ فالآية الكريمة جاءت صورتها على طريقة التشبيه التمثيلي" وهي طريقة تدل على تمكن الواصف من التوصيف والتوسع فيه"[7]. فالله سبحانه وتعالى شبه حال إماتة الذي مرّ على القرية الخاوية وإحياؤه بحال القرية التي أماتها وأحياها من جديد، وقد برزت في هذه الصورة التمثيلية "آلية المشابهة القائمة على المحسوسات الظاهرة التي تبلغها العين المستندة إلى التدرج الوصفي بإخراجه من نطاق العموم إلى حيز التخصيص، إذ ترصد هيئة الموصوفات كما تتدرج العين في رؤيتها، ويتم الوصف بطريقة استقصائية يرصد فيها النظر كبير الموصوفات وهي القرية، إذ تمثل القرية الخاوية بؤرة التفجير الدلالية الأساسية الداعية إلى التدبر والتأمل"[8].

---

(1) البغوي، معالم التنزيل (ج1/ 317).

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج1/ 348).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1/ 517)

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص112)

(5) أبو حيان، البحر المحيط (ج2/ 632- 633)

(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج1/ 394)

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج1/ 315) (ج3/ 34)

(8) الحمداني، صورة المؤمن في التعبير القرآني (ص155).

إن المتأمل لبناء الصورة الجمالية في الآية الكريمة يدرك أن عملية البناء تمت من خلال أولا: استعمال الألفاظ النكرة مثل (الذي مرّ) أو (قرية) وفي استعمال النكرات قال الشعراوي: "عندما ننظر إلى بداية الآية نجدها تبدأ بـ(أو)، وما بعد(أو) يكون معطوفاً على ما قبلها، فكأن الحق يريد أن يقول لنا: أو(أَلَمْ تَرَ) إلى مثل الذي مر على قرية.وعندما تسمع كلمة(قَرْيَةٍ) فإنها تفيد تجمع جماعة من الناس يسكنون في مكانمحدود، ونفهم أن الذي مر على هذه القرية ليس من سكانها، إنما هو قد مر عليها سياحة في رحلة. ونلحظ كذلك أن الحق سبحانه لم يشأ أن يأتي لنا باسم القرية أو باسم الذي مر عليها، وقد قلنا من قبل: إنه إذا أبهم الحق فمعناه: لا تشخص الأمر، فيمكن لأي أحد أن يحدث معه هذا "[1].

إذن فالغاية مقصودة من توظيف النكرات؛ وهي زيادة التشويق؛ لأن استعمال أسلوب الإبهام يزيد من التشويق، ومن كثافة الصورة، فهذه النكرات جاءت متناسبة ودلالة لفظة خاوية؛ فالصورة الجمالية بُنيت من الأصل على التشبيه التخييري فلم تحدد الشخص الذي مرَ على القرية، ولم تحدد مكان القرية، كذلك كان الأمر في لفظة خاوية التي معناها مأخوذ من صفة الخواء الدال على معنيين الأول خاوية من ناحية السكان، والثاني خاوية من ناحية المنازل والبيوت والسقوف؛ فتناسبت هنا النكرات مع الدلالات. ثانيا: استعمال الوصف عن طريق الإدراك البصري لحقيقة الخواء الماثل في القرية، فالله سبحانه وتعالى أخبرنا عن حال القرية دون الخوض في تفاصيلها الدقيقة، فنقل عن طريق مشاهدة المار بالقرية وصفها وحالتها التي باتت خالية من السكان، محطمة السقوف والجدران، لذلك كان الإدراك البصري لحقيقة القرية والتعجب من تغير حالها أمراً لافتا في الآية الكريمة، وهذا أمر بدهي، وطبيعة مغروسة في الإنسانية "فعندما يمر إنسان على قرية مثل هذه القرية فلا بد أن مشهدها يكون شيئاً لافتا للنظر"[2]. ثالثاً: استعمال الاختزال اللفظي، إذ اختزلت لفظة خاوية الأبعاد التصويرية المختلفة للسكان والمكان، فمنحت الصورة جمالية في التكثيف، واختزالا في التفصيل، وترابطا بين التراكيب والدلالات، فالإيماء الذي قدمته لفظة خاوية دفعت بالمتلقي إلى افتعال صورة متخيلة عن طبيعة هذه القرية وعما حل بها وبسكانها، ليصل المتدبر إلى نتيجة مفادها: "أولم تر إلى الذي مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود"[3]. فالفائدة المتحققة من الصورة الجمالية هي الهداية والدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالله القادر على كل شيء.

ثانيا: لفظة خاوية في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ (الكهف: 42).

3. المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.

يجمع أهل التفسير على أن معنى لفظة خاوية في الآية الكريمة السابقة تعني السقوط والوقوع والهلاك والفناء، ولا تعني الخلو والفراغ؛ لأنها لم تكن مهجورة شأنها شأن القرية الخاوية، بل كانت معمورة بالخيرات والثمرات إلى أن أنزل الله عقابه عليها ليلاً كما ذكر أهل التفسير، فقال القرطبي في معنى خاوية: "وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها: أي خالية قد سقط بعضها على بعض، مأخوذ من خَوَتِ النُّجُومُ تَخْوِي خَيًّا أَمْحَلَتْ، وذلك إذا سقطت ولم تمطر في نوئها، وَأَخْوَتْ مِثْلُهُ. وَخَوَتِ الدَّارُ خَوَاءً أَقْوَتْ، وكذلك إذ سَقَطَتْ، ويقال: ساقطة، كما يقال فهي خاوية على عروشها؛ أي ساقطة على سقوفها، فجمع عليه بين هلاك الثمر والأصل، وهذا من أعظم الجوانح مقابلة على بَغْيِهِ"[4].

إذن جاءت لفظة (خاوية) عند القرطبي في هذه الآية معناها (ساقطة) وهو المعنى الذي ذهب إليه الرازي بقوله: "﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾ أي ساقطة على عروشها فيمكن أن يكون المراد بالعروش عروش الْكَرْمِ فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها،

---

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج2/ 1130- 1131)

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج2/ 1130- 1131)

[3] أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج1/ 252)

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج10/ 410)

ويمكن أن يراد من العروش السقوف وهي سقطت على الجدران، وحاصل الكلام أن هذه اللفظة كناية عن بطلانها وهلاكها"[1]. ويتفق الثعالبي في تفسير لفظة خاوية تفسير هذه الآية أن " وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها ساقطة على سقوفها، خالية من غرسها وبنائها"[2]. بينما ذهب ابن عطية إلى القول:" وهي خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها يريد أن السقوف وقعت، وهي العروش، ثم تهدمت الحيطان عليها، فهي خاوية والحيطان على العروش"[3]. أما الماتريدي فيرى أن لفظة خاوية تحتمل أن يكون معناها " ذاهبة البركة"[4]. أي أن بركة الجنة بما كان فيها من خيرات وثمار ذهبت نتيجة فعل صاحبها وصنيعه، وهذا المعنى الذي ذهب إليه الماتريدي بعيد إلى حد ما، فالعلاقة الدلالية بين لفظة (خاوية) وسقوفها ساقطه تدل على التهدم والفناء المادي والمعنوي (البركة).

4. العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.

تتمثل العلاقة التناسبية في الآية الكريمة السابقة بين ما حملته لفظة خاوية من معاني ودلالات وبين المعاني والدلالات التي أضافتها مجمل مفردات وتراكيب الآية الكريمة، فالناظر في مفردات الآية يجدها تضمنت دلالات الندم والخسران، فضلاً عن معاني الهلاك والفقد، والحزن النفسي، فلفظة (أحيط) في قوله تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ تدل على معنى الهلاك، وقوله ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾تدل على معنى الندم والحسرة، وهذه المعاني تلتقي والمعنى الذي حملته كلمة خاوية الدالة على السقوط والانهيار، قال الرازي:" وأحيط بثمره وهو عبارة عن إهلاكه بالكلية وأصله من إحاطة العدو؛ لأنه إذا أحاط به فقد مَلكه واستولى عليه، ثم استُعملَ في كل إهلاك، ثم قال فأصبح يقلب كفيه وهو كناية عن الندم والحسرة"[5].

فالإحاطة كناية عن الهلاك، وتقليب الأكف كناية عن الندم، وكلاهما يدلان على الخواء النفسي والمادي، والسقوط والخسران والإفلاس في الدنيا والآخرة، ويلاحظ أيضاً أن هذه الدلالات اجتمعت في نهاية الآية لتتناسب ومعنى لفظة خاوية والمفردات المحيطة بها، ففي قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ إشارة إلى الندم والحسرة والألم على ما أصابه من خسارة، وفي ذلك قال أهل التفسير: إن كان هذا القول في الدنيا؛ فذلك منه توبة؛ لأن التوبة هي الندامة على ما كان منه.وقَالَ بَعْضُهُمْ :هذا القول منه في الآخرة، فإن كان في الآخرة فإنه لا ينفعه ذلك، والله أعلم، وهكذا كل كافر يؤمن في الآخرة، لكن لا ينفعه إيمانه[6]. ففي كلا الحالين عبرت التراكيب عن الندامة والحسرة، وهذا إشارة إلى السقوط والتحطم النفسي، والخواء الروحي نتيجة ما حصل معه من خسران لجنته وهلاك لماله في الدنيا، وخسران في الآخرة.

أما عن الصورة الجمالية في الآية الكريمة فيلحظ المتدبر أنها سيقت على التشبيه التمثيلي، إذ تدخلت بها تقنيات ضرب المثل القرآني القادر على تحريك المشاعر والانفعالات، كما نُسجت الصورة من ترابط المفردات والتراكيب، وما حملته من دلالات التصوير، فهنا اشتركت الألفاظ ومعانيها لتوضيح المقصود من قوله تعالى، وتقريبها بالصورة الجمالية لذهن المتدبر، وذلك من خلال اعتمادها على الماديات المحسوسة المستمدة من عناصر الطبيعة؛ فالجنة بما تحتويه من أشجار وزروع وثمار ومياه هي مصادر تكوينية للصورة التي بدأت بلفظة أحيط وكأنها سور أو جدار أحاط بها، فلا منفذ لها مما يؤدي إلى هلاكها وخرابها، وكأن الصورة الجمالية للآية تقول إن الله سبحانه وتعالى صور العبد الذي تغيرت وتبدلت إيمانيته بحال الجنة التي تغيرت طبيعتها، فبعد أن كانت خضراء يانعة مثمرة أصبحت خربة مهدمة محطمة لا ينبت فيها زرع ولا يثمر فيها شجر، وقد اختار الله أن تكون الإحاطة بالثمر لا بالشجر بداية للتدليل على أن منتهى تفكير الإنسان قاصر، ولجعل الصورة أكثر تأثيراً، فصاحب الجنة عينه على الثمر وهو الغاية المقصودة

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (ج21/ 465- 466).

[2] الثعالبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج6/ 172).

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج3/ 518- 519).

[4] الماتريدي، تفسير الماتريدي – تأويلات أهل السنة (ج7/ 173).

[5] الرازي، مفاتيح الغيب (ج21/ 465)

[6] الماتريدي، تفسير الماتريدي – تأويلات أهل السنة (ج7/ 173).

من الشجر فأهلك الله الفرع أولا ثم الأصل ليزيد من حسرته وندمه، وهذا من بلاغة القرآن في التصوير والتعبير: "وتلاحظ أنه سبحانه قال(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) ولم يقُلْ مثلاً: أحيط بزرعه أو بنخله؛ لأن الإحاطة قد تكون بالشيء، ثم يثمر بعد ذلك، لكن الإحاطة هنا جاءت على الثمر ذاته، وهو قريب الجنْي قريب التناول، وبذلك تكون الفاجعة فيه أشدَّ، والثمر هو الغاية والمحصّلة النهائية للزرع، ... (وَهِيَ خَاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا) خاوية: أي خَربة جَرْداء جَدْباء، ومعلوم أن العروش تكون فوق، فلما نزلت عليها الصاعقة من السماء دكَّتْ عروشها، وجعلت عاليها سافلها، فوقع العرش أولاً، ثم تهدَّمتْ عليه الجدران"[1].

إن الصورة الجمالية التي حملتها عملية التناسب اللفظي بين كلمة خاوية وباقي المفردات في التراكيب رسمت للمتلقي صوراً مختلفة سواء أكانت صوراً جمالية طبيعية لحال الجنة قبل الهدم والخراب أو لصورة مؤلمة محزنة بعدها، أو من خلال الكشف عن الحالة النفسية لصاحب الجنة، إذ رسمت الآية صورة الانكسار والخواء والضعف والندم، فطال التعبير البياني بلفظة خاوية الصورة البيانية لحالة هذا النوع من البشر متحسسة انفعالاتها وتعبيراتها وتصرفاتها وكأنها صورة ماثلة أمام أعيننا، فتقليب الكفين رمز إيحائي معبر عن الحالة النفسية للندم والتحسر " والغالب على الإيحاء التعبير باللفظ، على حين تغلب على الرمز التعبير بالحركة، فرمز الندم في تعبير القرآن بتقليب الكفين، فهذا إيحاء الندم والرمز الدال عليه، وقد جمع له القرآن في هذا السياق بين الحركة والقول، الحركة بتقليب الكفين، والقول بتمني عدم الشرك بالله وكفران النعم وهذا هو التعبير المزدوج"[2]. لذلك لا غرابة إن قلنا إن الصورة الماثلة في الآية الكريمة هي نتاج تناسب لفظي ودلالي لمفردات الآية، لا سيما لفظة خاوية التي جمعت في ثناياها معاني المفردات والتراكيب ودلالاتها، فكانت بؤرة مركزية عبرت عن مشاهد الجنة، وصورة صاحبها الخارجية والداخلية، فالصورة الجمالية في الآية الكريمة هي صورة متكاملة، بدأت بنقطة وانتهت بأخرى "فمن أنماط الصورة الإبداعية المتطورة ما ظهر في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ فطبيعة الصورة المتشكلة في هذا السياق ذات شمولية واتساع وقدرة على التنقل بين العناصر المكونة لها، فعملية التنقل والربط بين الإنسان في حركة مع الجنة الثابتة حتى يصل إلى تصوير البعد النفسي للرجل وهو ظالم لنفسه. فالصورة تدخل في عناصر ثلاث العنصر الأول (الإنسان) في بعده الظاهر، تنتقل مع العنصر الثاني (الجنة) في بعد ظاهر أيضا، وعودة إلى العنصر الثالث البعد النفسي، (وهو ظالم لنفسه). فالعلاقات المتبادلة بين عناصر الصورة يشكل الترتيب لها ظاهرة التطور في الصورة من البعد الظاهري إلى الغوص في الأعماق، وهذا نوع من التطور"[3] فالصورة الجمالية بحدودها المترامية عبرت عن آفاق النفس الإنسانية من رغبات وطموحات وانكسارات وتحسر وندم فهذه الصورة لم تكتف بإظهار جماليات الجنة في بدايتها، ولا في خرابها وانهدامها في نهايتها فحسب، بل شملت في تصويرها الإنسان بكل ما فيه من حركات وسكنات وأفعال وتصرفات وأحاسيس؛ فالصورة الجمالية التي رسمتها الآية الكريمة امتازت بالتعددية والشمولية، والتطور والانتقال، بفعل تناسب الألفاظ واتساق الدلالات، واستثمار للمشاهد الطبيعية.

ثالثا: لفظة خاوية في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (الحج: 45)

5. المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.

اختلف أهل التفسير في معنى كلمة (خاوية) في هذه الآية، فقال الزمخشري: معناها الساقط أو الخالي:" الخاوي: الساقط من خوى النجم إذا سقط، أو الخالي من خوى المنزل إذا خلا من أهله، وخوى بطن الحامل وقوله عَلى عُرُوشِها لا يخلو من أن يتعلق بخاوية، فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها، أي خرّت سقوفها على الأرض، ثم تهدّمت حيطانها فسقطت فوق السقوف. أو أنها

[1] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج14/ 919- 920)

[2] عيسات، جماليات المثل في القرآن (ص149)

[3] عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف (ص205)

ساقطة أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها. وإما أن يكون خبرا بعد خبر، كأنه قيل: هي خالية وهي على عروشها قائمة مطلة على عروشها، على معنى أنّ السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة، "[1]. بينما ذهب الرازي إلى أن معنى خاوية خالية أو فارغة، فقال: "فكأين من قرية أهلكناها وهي كانت ظالمة وهي الآن خاوية، وبئر معطلة كانت عَامِرَةٌ فيها الماء ويمكن الاستقاء منها إلا أنها عطلت أي تركت لا يُسقى منها لهلاك أهلها، والمعنى أنه تعالى بيّن أن القرية مع تكلف بنائهم لها واغتباطهم بها جُعلت لأجل كفرهم بهذا الوصف، وكذلك البئر التي كلفوها وصارت شربهم صارت مُعطلة بلا شارب ولا وارد، والقصر الذي أحكموه بالجصّ وطولوه صار ظاهراً خالياً بلا ساكن، وجعل ذلك تعالى عبرة لمن اعتبر وتدبر [2]. أما ابن عطية فقال؛ إن معنى خاوية خالية ومنه خوى النجم إذا خلا من النور، ونحوه ساقطة عَلى عُرُوشِها، والعروش السقوف والمعنى أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها فهي على العروش[3]، وقد اعترض الثعالبي على تفسير ابن عطية خاوية فقال ابن عطية فسر لفظة خاوية في سورة الحج والنمل بخالية، والأحسن أن تفسر بساقطة [4]. بينما جمع الزحيلي بين معنييناخاوية فقال هي بمعنى أصبحت ديارهم ساقطة حيطانها على سقوفها؛ أي قد قربت منازلها وتعطلت حواضرها، أو أصبحت خالية من أهلها مع بقاء عروشها على حالها وسلامتها، وكم من بئر معطلة أي لا يستقى منها، ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها، والازدحام عليها، وكم من قصر مشيد دمّر أو بقي بعد فناء أهله؟ والمعنى الإجمالي للآية :كم قرية أهلكناها، وكم بئر عطلناها عن سقاتها، وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه، فترك ذلك، لدلالة مُعَطَّلَةٍ عليه[5].

وبالنظر في أسلوب التضمين الوارد في الآية في حرف الجر (على) الذي أفاد معنى (مع) نجده قد أسهم في إيضاح معنى خاوية من خلال إفادة لمعنيين مختلفين؛ هما: الاستعلاء، والمعية، أما الاستعلاء فقد تناسب مع تدمير القرية حيث تعلو أشياؤها بعضها على بعض، فالسقوف التي سقطت على الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان ماثلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة والإشراف لا يكون إلا من علو، فناسب ذلك استعمال حرف الجر على. وقيل إنخاوية حملت معنيين تناسبا مع هذا التضمين، فالمعنى الأول أن خاوية من الفعل خوى النجم بمعنى سقط والسقوط للسقوف والحيطان اللفظ أي أن أجزاء القرية المدمرة بعضها يعلو على بعض. والمعنى الثاني أن خاوية مأخوذة من الفعل خوى بمعنى خوى المنزل إذا خلا من أهله، أي أن المنازل خالية منأهلها مع بقاء عروشها، أي أن العروش بقيت مع بعضها بعضاً لم تدمر، فالتضمين هنا أصاب الغرضين معاً وهذا أبلغ في وصف المشهد، فسواء دمِرت القرى بعضها على بعض، أم خلت من أهلها، فالمناسب لهذين المعنيين استعمال حرف الجر "على" بمعنى مع[6].

6. العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.

تُظهر التراكيب والمفردات في الآية الكريمة جملة من العلاقات التناسبية المعبرة عن صورة جمالية متكاملة، فقد صورت الآية الكريمة القرية بالظالمة الخاوية التي فيها بئر ماء معطل آلته، وقصر خرب مهجور تركه أهله وأصحابه، كما أظهرت العلاقات التناسبية داخل السورة أسلوب المجاز المتمثل في العلاقة المحلية، حيث جاءت في سياق الحديث عن عاقبة القرى التي كذبت رسل الله فأهلكها الله ففي قوله ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ جاء المجاز المرسل في

---

[1] الزمخشري، الكشاف (ج3/ 161- 162).

[2] الرازي، مفاتيح الغيب (ج23/ 232- 233).

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز(ج4/ 126- 127).

[4]الثعالبي، الجواهر الحسان (ج3/ 526).

[5] الزحيلي، التفسير المنير (ج17/ 237- 239).

[6] أبو جقيم، جماليات التعبير القرآني في سورة الحج، دراسة أسلوبية دلالية (ص102).

إنزال الجماد غير العاقل منزلة العاقل ؛ إما لتبيان بعد الأقوام واحتقارهم فلم يذكرهم ، وأما لتبيان الأثر الناتج عن أفعالهم والتي تطال العاقل وغير العاقل من جماد وحيوان.

والناظر في سياق الآية الكريمة يدرك أن خاوية جاءت لفظة فاصلة كاشفة حال القرية ومصيرها، فلو توقف السياق القرآني عند قوله تعالى ﴿وهي ظالمة﴾ لتبين لنا أن الآية جاءت بخبر لا بوصف، بمعنى أن الله أراد أن يخبرنا بإهلاكه للقرى الظالمة، بينما عندما جاءت لفظة (فهي خاوية) حملت معها الوصف الأولي لهيئة القرية بعد هلاكها، ليزداد وصفها بوصف الخراب والهجر الذي حل ببئرها وقصرها.

لقد استمدت الصورة جماليتها من خلال البيئة المحيطة بالإنسان التي يعرفها ويدركها، فالعروش التي معناها كل مرتفع يظل الإنسان من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم، والبئر موضع الماء، والقصر مكان العيش والحياة، فهذه جميعها ماديات معروفة لدى الإنسان اختارها الله سبحانه وتعالى لتقريب الصورة وتوضيح الغاية منها؛ وهي تبيان عقوبة من يكفر بالله وبرسله قال الشنقيطي:" سبب ذلك الظلم وهو الكفر بالله وتكذيب رسله، فصارت بسبب الإهلاك والتدمير ديارها متهدمة وأبارها معطلة لا يسقى منها شيء لإهلاك أهلها الذين كانوا يستقون منها"[1].

والناظر في الصورة الجمالية المعبرة في الآية الكريمة يدرك أنها تضمنت أبعادا تصويرية قد تكون أعمق من الخلو والهجر، وهذا ما يفهم من قول الشعراوي" الشيء الخاوي يعني: الذي سقط وتهدَّم على غيره، ويدل على عِظَم ما حَلَّ بها من هلاك، حيث سقط السقف أولاً، ثم انهارت عليه الجدران، أو : أن الله تعالى قَلَبها رأساً على عَقِب، وجعل عاليها سافلها"[2]. فقد تكون صورة القرية مقلوبة رأس على عقب، وهذا من عظيم العقاب والعذاب.

ويلحظ المتتبع للسياق القرآني أن الصورة الجمالية في الآية الكريمة قد تم بناؤها على نحو متتابع، مرتبط بلفظة الخاوية، إذا دلت جميع عناصر الصور وأركانها في الآية على انعدام الحياة وفنائها، فالله سبحانه وتعالى جاء بالقرية الخالية من السكان والساقطة الجدران، ثم جاء بصورة البئر المعطلة التي هي على النقيض من البئر العاملة التي يسودها الحياة والخضرة والطبيعة الخلابة، فالبئر العاملة تدل على وجود أشكال الحياة، بينما دلت البئر المعطلة على انعدام الحياة وخلو هذا البئر من أناس ومخلوقات يستفيدون من مياهه، أما صورة القصر المشيد فقد دلت على صورة القرية قبل الهلاك وبعده، ومكانتها، فقبل الهلاك يفهم من السياق القرآني أنه كان لهذه القرية مكانة عالية شأنها شأن علو قصرها، أما بعد الهلاك والخراب والدمار لم يعد لها شأن فبقي قصرها مشرفاً مرتفعا دونما مكانة معنوية أو حقيقية أو وجود السكان "فالقصر: اسم للمأوى الفَخْم؛ لأن المأوى قد يكون خيمة، أو فسطاطاً، أو عريشة، أو بيتاً، أو عمارة، وعندما يرتقي الإنسان في المأوى فيبني لنفسه شيئاً خاصاً به، لكن لا بُدَّ له أنْ يخرج لقضاء لوازم الحياة من طعام وخلافه، أما القصر فيعني مكان السكن الذي يتوفر لك بداخله كل ما تحتاج إليه، بحيث لا تحتاج إلى الخروج منه، يعني بداخله كل مُقوِّمات الحياة..والمشيد من الشيد، وهو الجير الذي يستعمل كَمُونَةٍ في بناء الحجر يعني: مادة للصق الحجارة، وجَعْلها على مستوى واحد، وقديماً كان البناء بالطوب اللَّبن، والمونة من الطين، أما في القصور والمساكن الفخمة الراقية فالبناء بالحجر، والمشيد أيضاً العالي المرتفع، ومنه قولهم: أشاد به يعني: رفعه وأعْلى من مكانته، والارتفاع من مَيْزات القصور، ومعلوم أن مقاسات الغرف في العمارات مثلاً غيرها في القصور، هذه ضيقة منخفضة، وهذه واسعة عالية، فالقصور دليل على أن سكانها كانوا من أصحاب الغنى والنعيم"[3].

إذن فالمعادلة التصويرية في الآية قائمة على التقابلات الضمنية بين ما كان وبين ما أصبح عليه المكان، بين العمارة والفناء، بين العلو والسقوط، بين جماليات الطبيعة الخلابة وبين بشاعتها، بين الحياة وعدمها، فهذه المشاهد التصويرية التي أظهرتها الآية ودلت

---

[1] الشنقيطي، أضواء البيان (ج5/ 269)

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج16/ ٩٨٥٧)

[3] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج16/ ٩٨٥٨)

عليها علاقاتها التناسبية بين مفرداتها وتراكيبها ما كانت لتقوم لولا لفظة خاوية التي فصلت القول وأبانت عن الهيئات والأحوال والصفات.

رابعا: لفظة خاوية في سورة النمل في قوله تعالى:﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: 52)

7. **المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.**

يذكر أهل التفسير أن مناسبة هذه الآية وما سبقها يكمن في أن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قصة موسى وداود وسليمان، وهم من بني إسرائيل، ذكر قصة من هو من العرب، وهم ثمود أي عاد الأولى، وصالح أخوهم في النسب، بقصد تذكير قريش والعرب وتنبيههم أن من تقدم من الأنبياء من العرب كان يدعو إلى إفراد الله بالعبادة، ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على ضلالة، وأن شأن الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وكل هذه القصص من التاريخ الغابر دليل على أن محمدا رسول الله، وأنه يتلقى القرآن من لدن حكيم عليم، وإنذار وتهديد لكل كافر أو مشرك[1].

أما لفظة خاوية الواردة في الآية الكريمة فقد جاءت نتيجة العذاب والهلاك الذي ناله قوم صالح عليه السلام، الذين كان عقابهم بسبب كفرهم وطغيانهم التدمير والإهلاك بصيحة جبريل عليه السلام وبإمطار الملائكة عليهم حجارة قاتلة قتلتهم[2]. ومن هنا اختلف أهل التفسير في تحديد معنى خاوية، فقال ابن عطية معناها خالية:"إخواء البيوت وخرابها مما أخبر الله تعالى به في كل الشرائع أنه مما يعاقب به الظلمة، ومعناها خالية قفرا"[3]. وقد ذهب لهذا المعنى ابن عاشور في التحرير والتنوير فقال:" وَالْخَاوِيَةُ: الخالية ومصدره الخواء؛ أي فالبيوت باق بعضها في الجبال لا ساكن فيها"[4]. فابن عاشور يقصر معنى خاوية على خالية، وهذا ما ذهب إليه كذلك البقاعي بقوله تعالى: "خاوية: أي خالية، متهدمة بالية، مع شدة أركانها، وإحكام بنيانها، فسبحان الفعال لما يريد، القادر على الضعيف كقدرته على الشديد"[5]. أما السمرقندي فقال خاوية تحتمل معنيين هما: خالية، وساقطة " فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً يعني: خالية من الناس. ويقال: بُيُوتُهُمْ خاوِيَة. يعني: مساكنهم خربة ساقطة، بِما ظَلَمُوا؛ أي أشركوا. ويقال: بكفرهم بالله تعالى صارت خاوية نصباً على الحال. يعني: فانظر إلى بيوتهم خاوية، وقرئ في الشاذ (خاوية) بالضم على معنى النعت للبيوت"[6]. وهذا ما ذهب إليه الماتريدي بقوله تعالى :"﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي لم نُسكن فيها أحدًا، ولكن تركناها خالية كذلك، وقَالَ بَعْضُهُمْ(خَاوِيَةً)أي: خربة بما ظلموا كقوله﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: ساقطة خربة، وقد كان ذلك كله منها ما جعل لغيرهم مسكنًا إذا أهلكهم من نحو ما"[7]. كما أكد الثعالبي على هذا المعنى بقوله" أما لفظة خاوية التي في النمل فيتجه أن تفسر بـ (خالية) وبـ(ساقطة)"[8].

وتذهب الدراسة إلى أن الراجح في معنى خاوية في هذه الآية الكريمة هو خالية وليست ساقطة، والسبب يعود إلى طبيعة المنازل والبيوت المحفورة بالصخر، فهي لم تكن منازل مشيدة أو مبنية قائمة حتى تسقط جدرانها وتتهاوى، إنما كانت محفورة بالصخر، وهذا يفهم من قوله تعالى ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ﴾ (الفجر: 9) وثمود هم قوم صالح عليه السلام، الذين قطعوا الصخر ونحتوا

---

[1] الزحيلي، التفسير المنير (ج19/ 316- 317)

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج13/ 217)

[3] ابن عطية، المحرر الوجيز (ج4/ 256)

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/ 285)

[5] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج14/ 180)

[6] السمرقندي، بحر العلوم (ج2/500)

[7] الماتريدي، تفسير الماتريدي – تأويلات أهل السنة (ج8/ 123)

[8] الثعالبي، الجواهر الحسان (ج3/ 526).

فيه المنازل والمساكن والبيوت، قال الرازي:" كانوا يجوبون البلاد فيجعلون منها بيوتا وأحواضاً وما أرادوا من الأبنية، فينحتون من الجبال بيوتا، وقيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة"[1].

فالمعنى الأرجح أن تكون خالية والله أعلم بذلك، لا سيما وأن آثارهم بقيت كما هي شاهدة على سوء أفعال ثمود، فصارت بيوتهم خالية من السكان بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر والفساد والمعاصي، وفي ذلك عبرة للمعتبر [2].

8. العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.

يُظهر السياق التركيبي للآية الكريمة وجود علاقات تناسبية بين لفظة خاوية والصورة الفنية التي أنتجتها هذه اللفظة، فالله سبحانه وتعالى قبل أن يُظهر صورة منازل قوم صالح الخالية قدم أسباب هلاكهم بقوله:﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾والمقصود أن قوم صالح قد دبروا مكائدهم وأحكموا خطتهم لقتل صالح عليه السلام، لكن الله سبحانه وتعالى عليم بمكرهم فأهلكهم بالعذاب فقال: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهنا قال السعدي:" هل حصل مقصودهم؟ وأدركوا بذلك المكر مطلوبهم أم انتقض عليهم الأمر ولهذا قال تعالى :﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي أهلكناهم واستأصلنا شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم"[3].ثم جاء الله سبحانه وتعالى بالصورة المعبرة عن الحال بعد العذاب، فقال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

نلاحظ من خلال الآية الكريمة مجيء لفظة خاوية معبرة عن صورة مغايرةٍ لما جاء سابقا في قوله تعالى:﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (الحج: 45) فالخواء الذي اتصفت به القرية احتملت صورة سقوط جدرانها وتهدمها أو صورة خلوها من سكانها، بينما في قوله تعالى:﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. جاءت صورة البيوت خاوية أو خالية، أي أن الله سبحانه وتعالى كان دقيق الوصف والتصوير، فذكر البيت ولم يذكر مدينة صالح، أو مدينة ثمود، وعندما يذكر خواء البيت فإن ذلك يدل على خلوه من السكان ولا يعني سقوط جدرانه، فالصورة التي شكلتها لفظة خاوية في الآية صورة امتازت بالدقة والتحديد، قال الشعراوي:"(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) دليل على أن الله أهلكهم فلم يُبْقِ منهم أحداً، وتُرِكَتْ بيوتهم خاوية بسبب ظلمهم"[4]. ومن جانب آخر دلت لفظة خاوية على صورة جديدة هي صورة الأنفس والقلوب الظالمة الخالية من الإيمان، أو كما قال صاحب روح البيان:" والإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر ومنها خراب بالغفلة ومن ألهمه الله الذكر فقد خلص لله من الظلم"[5]. فالظلم يخرب البيوت ويجعلها خاوية نفسياً ومعنويا ومادياً، ولعل الخواء النفسي أشد وقعاً وإيلاماً من الخواء المادي، لذلك عاقبهم الله بسبب ظلمهم، وفي هذا الشأن قال الآلوسي:"روي عن ابن عباس أنه قال:" أجد في كتاب الله تعالى أن الظلم يخرب البيوت" وتلا هذه الآية"[6].

لقد استمدت الصورة الجمالية في الآية الكريمة تشكيلها وتكوينها من محسوسات قريبة من الإنسان، فالبيوت أو المنازل التي يسكنها الإنسان ويقيم فيها يعرفها ويدرك مفهومها، حتى وإن تغيرت أشكالها واختلف بناؤها، فجميعها تتفق في مصطلح البيت ومفهومه، كما أن قيمتها في استدامة الحياة فيها وليس في هجرها وتركها، لذلك فإن صورة البيوت الخالية إشارة إلى الفناء المشعر بالوحدة والخوف، كما أن استخدام اسم الإشارة (تلك) في الدلالة على المنازل الخاوية تأكيدا للوصف لغاية العظة والاعتبار قال أبو حيان:" ولما أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم بين ذلك بالإشارة إلى منازلهم، وكيف خلت منهم، وخراب البيوت وخلوها من

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب (ج31/ 154).

[2] الزحيلي، التفسير المنير (ج19/ 316- 317).

[3] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٠٦).

[4] الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج17/ 804).

[5] الإستانبولي، روح البيان (ج6 /357- 358)

[6] الآلوسي، روح المعنى (ج10/ 209)

أهلها حتى لا يبقى منهم أحد مما يُعاقب به الظلمة، إذ يدل ذلك على استئصالهم"[1]. وإضافة إلى توظيف الماديات المحسوسة في الآية تم توظيف الجانب المعنوي المتمثل في لفظة (ظالموا)، فالظلم أمر معنوي ونفسي يعرفه الإنسان ويشعر به، إذا مارسه أو حين يمارس عليه من قبل الآخرين، فحتى تكتمل صورة المنازل الخالية من سكانها جاءت لفظة الظلم لتصور طبيعتهم النفسية وحياتهم التي كانوا يحيونها، وبذا تكون الصورة في الآية مكتملة الأركان والعناصر، معبرة عن الخواء الذي مثلته ودلت عليه.

خامساً: لفظة خاوية في سورة الحاقة في قوله تعالى:﴿وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (6) سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: 6-7).

9. المعنى التفسيري للفظة خاوية في الآية الكريمة.

جاءت مناسبة الآيات الكريمة في ضوء الإخبار الغيبي عن الأمم السابقة، وهم ثمود وعاد، وبيان حال العذاب الذي حل بهم، قال الطبري:"وأما عاد قوم هود فأهلكهم الله بريح صرصر، وهي الشديدة العصوف، مع شدة بردها(عَاتِيَةٍ) يقول: عتت على خزانها في الهبوب، فتجاوزت في الشدّة والعصوف مقدارها المعروف في الهبوب والبرد سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة كان قوم عاد فيها موتى كأنهم أصول نخل قد خوت"[2].

وذكر المراغي أن معنى خاوية" خالية الأجواف لا شيء فيها"[3].إذن فخاوية معناها هنا خالية فارغة، وقد ذهب لهذا المعنى معظم أهل التفسير، إلا أن منهم من قال بغير ذلك فالسيوطي قال:"هي أصُول النّخل قدبقيت أُصُولهَا وَذَهَبت أعاليها، أو معناها خربة"[4]. بينما قال البغوي بالمعنيين"(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ساقطة، وقيل خالية الأجواف"[5].

وترى هذه الدراسة أن معنى خاوية في هذه الآية المنقلع من أصله الذي يؤدي به إلى الخلو، وهذا ما ذهب إليه أهل اللغة فقال ابن منظور:" كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ، وأعجاز النخل: أصولها، وقيل خاوية نعت للنخل لأن النخل يذكر ويؤنث، وقيل في موضع آخر كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ؛ والمنقعر: المُنْقَلِعُ عن منبته، وكذلك الخاوية معناها معنى المُنْقَلِعِ، وقيل لها إذا انقلعت خاوية؛ لأنها خَوَتْ من منبتها الذي كانت تنبت فيه، وخوَى منبتها منها، ومعنى خَوَتْ أَي خَلَتْ كما تخوي الدار خويا إذا خلت من أهلها، وخوت الدار أي باد أهلها وهي قائمة بلا عامر [6].

10. العلاقات التناسبية بين لفظة خاوية والصورة الجمالية التي تضمنتها الآية.

تضمنت الآية الكريمة جملة من العلاقات التناسبية التي أفضت إلى جمالية الصورة وإبداعها، فالناظر في سياق تراكيب الآية الكريمة يجدها قد تضمنت تشبيها مرسلا مجملاً، ذكرت فيه الأداة وحذف منه وجه الشبه[7].فقد شبّههم الله سبحانه وتعالى بالجذوع الممتدة لطول قاماتهم، وقد كانت الريح تقطع رؤوسهم كما تقطعرؤوس النخل المتطاولة خلال تلك الأيام الثمانية أو الليالي السبع "[8]. فتلقيهم ليصبحوا جذوع نخل خاوية فارغة لا فائدة منها، وكأن العلاقة بين فناء القوم والنخل المنقلع اليابس هي حتمية الهلاك الذي لا مفر منه.

---

[1] الآلوسي، روح المعنى (ج10/ 209)

[2] الطبري، جامع البيان (ج23/ 572- 575)

[3] المراغي، تفسير المراغي (ج29/ 50)

[4] السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ج8/ 266).

[5] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج8/ 208)

[6] ابن منظور، لسان العرب (ج14/ 245)

[7] الزحيلي، التفسير المنير (ج29/ 82)

[8] درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج10/ 191- 192).

أما عن تناسق الصورة وتناسبها مع اللفظ فيظهر للمتدبر من خلال اختيار النخل ليكون مشبها به وتوظيف لفظة خاوية للتدليل على الصورة فقد:" شبهوا بأعجاز النخل أي أصول النخل، وعجز النخلة هو الساق التي تتصل بالأرض من النخلة وهو أغلظ النخلة وأشدها، ووجه التشبيه بها أن الذين يقطعون النخل إذا قطعوه للانتفاع بأعواده في إقامة البيوت للسقف وَالْعِضَادَاتِ انتقوا منه أصوله لأنها أغلظ وأملأ وتركوها على الأرض حتى تيبس وتزول رطوبتها ثم يجعلوها عمدا وأساطين [1].

وقد يلحظ المتمعن في الآية الكريمة وجود أكثر من صورة معبرة عن حال القوم، قال بها بعض المفسرين حيث عبرت عن قمة العذاب والإذلال من جانب، وعبرت عن عظمة الله وقدرته من جانب آخر، ومن ذلك قولهم إن النخيل الخاوي الذي بلى وفسد يشبه حال القوم الذين كانت تدخل الريح من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحسو من أدبارهم، فصاروا كالنخل الخاوية، وربما يكون المعنى خلت أبدانهم من أرواحهم [2]. ويحتمل أن تكون الصورة ماثلة في ما ذهب إليه الرازي من القول أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية[3].

ومما زاد من جمالية الصورة هو الانسجام اللفظي بين (عاتية) و(خاوية) إذ يلحظ المتدبر للآية الكريمة تضمنها إيقاعاً لفظياً ساحراً أطلق عليه البلاغيون السجع المرصع وهو:" مقابلة كل لفظة بلفظة على وزنها ورويها[4].ويعد السجع المرصع أعلى مراتب السجع في الإيقاع، إذ يمنح الجمل والكلمات وقعاً خاصاً يترك أثره في النفس.

أما جماليات تشكيل الصورة فإننا نلحظ توظيفا للطبيعة وعناصرها المختلفة، فالصورة اتكأت على وصف قوة الريح وعظمتها وشدتها، كما وظفت صورة النخل المنقعر الخالي مما منح الصورة بعدا دلاليا أعمق وأكثر قوة في التصوير، وتعدد وجوه التشبيه وتعدد المعاني، فكانت الآية بمثابة صورة حية نابضة بالمشاعر والأحاسيس المعبرة وهذا من بلاغة القرآن الذي يستعين بكل ما هو قريب للإنسان في سبيل أن يتعظ ويهتدي ويدرك أن الله هو الواحد الأحد.

المطلب الثالث: تأثير جماليات تناسب الآيات لفظيا وتصويريا في النفس البشرية.

يشكل تناسب الآيات القرآنية الكريمة لفظاً ومعنى بعداً جمالياً مؤثراً في النفس الإنسانية، يضاف إليه ما تحمله هذه الألفاظ والتراكيب من صور جمالية معبرة، ولعل في حدثيث الوليد بن المغيرة أبلغ المعاني وأظهرها في بيان تأثير القرآن على النفس الإنسانية ،فقد ورد في الحديث النبوي الشريف " عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم ؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله، إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلا، وأنه ليحطم ما تحته"[5].

إن التأثر بجماليات اللفظ القرآني وبلاغته وفصاحته وقع في الأذن البشرية، وعلق في النفس الإنسانية منذ أن نزل القرآن على نبي الهدى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، في زمن علم فيه العرب قيمة اللفظ، وأدركوا بلاغة اللغة، وفصاحة العربية، لا سيما وأن لعربية اللفظ القرآني تأثيره الذي لا يدانيه تأثير، فاللغة العربية التي هي لغة القرآن " وسيلة للتعبير وأداة التوصيل والتواصل

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج29/ 118- 119).

[2] أبو حيان، البحر المحيط (ج10/ 255)

[3] الرازي، مفاتيح الغيب (ج30/ 621)

[4] مطلوب، البلاغة العربية (ص275).

[5] ابن الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (ج2/ 550، حديث رقم 3872)

والتفاهم بين البشر، فوظيفتها أساسا هي نقل ما يجيش في خواطر البشر ونوازع النفس وما ينتاب الشخص من شعور دافق وخلجات باطنة وظاهرة، فتنتقل إلى طالبها بطريقة الأصوات ويعبر عنها بالأحرف والألفاظ"[1].

لقد أسهم الجمال اللفظي والمعنوي الذي جاء به القرآن الكريم في جذب النفوس، وجبلها على حب القرآن الكريم، والتعجب من عظمة منزله، والافتتان بأعذب ألفاظه وصوره، فالناظر في لفظة خاوية التي استعرضت الدراسة دورها في تشكيل جماليات الصورة، يدرك أهمية اللفظ ودوره، ومدى تأثيره على متدبر الآيات والسور، فالقرآن " نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم، ومن ادعى ذلك لم يكن له بد من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر، ولا من قبيل السجع، ولا الكلام الموزون غير المقفى؛ لأن قوما من كفار قريش ادعوا أنه شعر، ومن الملحدة من يزعم أن فيه شعراً، ومن أهل الملة من يقول: إنه كلام مسجع، إلا أنه أفصح مما قد اعتادوه من أسجاعهم، ومنهم من يدعي أنه كلام موزون. فلا يخرج بذلك عما يتعارفونه من الخطاب.. ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز"[2].

إن الإنسان عندما يتدبر القرآن يدرك بعقله ووجدانه عظمة الخالق المبدع المصور، الذي منحه نفساً تتبصر به جماليات الآيات وتتذوق بديع ألفاظها، فالعقل الإنساني قادر على " توجيه النفس الإنسانية نحو الجمال والتطلع للكمال، والإحساس الجمالي والشعور الذوقي والإبداع الجمالي، وتحويل الإدراك الحسي والتذوقي إلى إدراك جمالي، وتوجيه الأحاسيس والانفعالات الوجدانية وضبطها، والإحساس التأملي للوجدان، وتحريك المشاعر نحو الإلهام، وإكساب القيم الجمالية من خلال الإدراك الجمالي والقدرة الإبداعية، وإعطاء السند العقلي للقيم الجمالية، ويحوي الخصائص العقلية والشعورية والوجدانية والانفعالية والعاطفية، وإيجاد الصلة بين الكون والحياة والإنسان والتوجه للرحمن، وهذه الخصائص تتفاوت وجودها من شخص إلى آخر بحسب ما فطر فيه من قدرات فطرية ومما اكتسبه من تجارب وقيم جمالية "[3]. فهذه الخصائص والصفات التي اختص الله بها الإنسان في توجيه عقله ووجدانه نحو الجمال بأشكاله كافة ومن بينها الجمال اللفظي وتناسبه في القرآن الكريم، لا شك أنها من أكبر النعم وأهمها في الحياة، فالإنسان إذا ما تدبر جمال لفظ القرآن وأدرك كنهه ومعناه حتما سيعلق في وجدانه ونفسه، ويهتدي لما أمره الله به، فينعم بحياة طيبة، وصفاء سريرة ، فإن إدراك الجمال الفني في القرآن كما يرى قطب دليل على استعداد لتلقي التأثير الديني[4]، ومن جانب آخر فإن النفس البشرية التي تجبل على تذوق جماليات القرآن حتما ستتذوق الجمال وتراه في كل شيء تلمسه أو تقع عليه عينها فإن اللفظ هو أساس الصورة ومصدرها لذلك لا يمكن أن تتشكل الصورة القبيحة من لفظ جميل، ولا أن تتشكل صورة جميلة من لفظ قبيح، وللوصول إلى هذه النظرة العميقة الواعية المتبصرة لحقيقة اللفظ القرآني وتناسبه جماليا وتصويريا جاءت هذه الدراسة التي أتمنى أن تكون بذرة مثمرة لدراسات قادمة.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة المعنونة بـ(جماليات تناسب اللفظ والصورة في القرآن، لفظة "خاوية" دراسة جمالية) إلى البحث في جماليات تناسب اللفظ والصورة من خلال التوقف عند لفظة خاوية في آيات القرآن الكريم، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات هي:

1. اهتمت الدراسات القرآنية القديمة والحديثة بألفاظ القرآن الكريم، ودرستها وبينت معانيها وعلاقاتها، ورصدت جمالياتها الدلالية والتركيبية، وذلك في سياق التأكيد على الإعجاز اللفظي والدلالي لآيات القرآن الكريم، وما تتركه من تأثيرات على المتدبر لها.

---

[1] برهان، فصاحة القرآن الثابتة والتطور اللغوي المتغير (ص96- 97).

[2] الباقلاني، إعجاز القرآن (ص50، ص57).

[3] عبده ، المدخل إلى فلسفة الجمال (ص185).

[4] قطب، التصوير الفني في القرآن (ص117- 118).

2. يشكل القرآن الكريم المصدر الجمالي الأول الذي اتسم بتعدد صور الجمال وأشكاله فيه، ومن بينها جماليات تناسب اللفظ الذي أدى إلى علاقات مشتركة مع الصورة وجماليتها.
3. ورد الجمال في المعجم العربي بمعاني مختلفة، فهو مصدر لكل جميل وحسن وبهي في الصفات والأحوال، والخُلق والخَلق، أما نظرة العلماء لمفهوم الجمال اصطلاحا فقد تفاوتت بينهم، فمنهم من نظر إليه من جانب عقلي وآخر نفسي، أما علماء القرآن فقد أشاروا إلى أن الجمال الحقيقي يكمن في معرفة الله الماثل في كل شيء ومن بينها القرآن الكريم الذي تضمن أجمل الألفاظ وأعذبها، وأحسن التصاوير وأكملها.
4. دلت لفظة صورة في المعاجم العربية على الشكل والهيئة، بينما عرفها العلماء من زوايا الإدراك العقلي والرؤيا البصرية والوجدانية لكل ما هو حسن وجميل، ومن بينها جمال دقة ألفاظ القرآن ومعانيه المنسجمة المتناسبة وجماليات الصورة المتشكلة في الآيات القرآنية.
5. إن علاقة الجمال بالصورة في القرآن نابعة من علاقة الألفاظ والتراكيب فيما بينهم من خلال عمليتي التناسب اللفظي والتكامل التصويري في القرآن، وهاتان العمليتان لا تتمان إلا من خلال توظيف اللفظ المناسب للصورة المناسبة عبر استخدام طريقتين هما التجسيم والتشخيص، كاستخدام المحسوسات المادية، والطبيعة المحيطة بالإنسان، وكل ما يعرفه الإنسان ويدركه حتى تكون الصورة قريبة لديه واضحة عنده.
6. جاءت لفظة خاوية في المعجم العربي متضمنة ألفاظا مترادفة وأضدادا، ومن مترادفاتها خَالِيَة، خَلا، خَلاَء، قَفْر، مَهْجُورَة، مُعَطَّلَة، مُقْفِرَة، مُوحِشَة، فارغة، أما عن أضدادها في اللغة فهي: آهِلَة، عامِرَةٌ، مسكونَةٌ، مَأْهُولَةٌ، مُكْتَظَّةٌ.
7. تكررت لفظة خاوية في القرآن الكريم في خمسة مواضع، تعددت معانيها وتنوعت دلالاتها، فمن معانيها خالية، ساقطة، متهدمة، مقفرة، وقد اختلف أهل التفسير في معانيها مما أدى إلى تعدد جمالياتها التناسبية مع التراكيب، وجمالياتها التصويرية.
8. ارتبطت لفظة خاوية في آيات القرآن الكريم بنسيج تركيبي متناسق، محكم، منظم، معجز ببلاغته وفصاحته، فعبرت اللفظة عن عميق الصورة وكمالها وجمالها، فكانت الصورة النابضة لكل شيء ترتبط به، ومن ذلك ارتباطها بالقرية الخاوية وتصويرها لها، كذلك الجنة الخاوية، والقرية الظالمة الخاوية، والبيوت الخاوية، وأصول النخل الخاوية.
9. تلحظ الدراسة أن جميع الألفاظ التي ارتبط بلفظة خاوية كانت من الماديات المحسوسة التي يعلمها الإنسان ويدركها، لذلك جاءت جمالية الصورة القرآنية قريبة من العقل الإنساني واضحة الدلالات والمعالم، وهذا مرده إلى حسن النظم، وبلاغة الإعجاز القرآني، فمجيء لفظة خاوية في هذه السياقات دون غيرها من الألفاظ المشابهة لها دليل على دقة اختيار اللفظ المصاحب لجمالية الصورة المتولدة عنها، وهذا لا يبدعه ولا يتقن صنعه إلا الله الواحد الأحد، الذي لا يعتري كتابه العظيم نقص ولا تشوبه شائبة.
10. تمتلك ألفاظ القرآن الكريم تأثيرات نفسية وعقلية ووجدانية على كل مستمع ومتدبر لآيات الله سبحانه وتعالى؛ فالإنسان عندما يتدبر كلام الله سبحانه وتعالى يتمعن في العلاقة التناسبية بين الألفاظ والمعاني والصورة المتولدة عنهما يستشعر عظمة الله، ويتأثر بذلك، فيهتدي إلى صراط العزيز الحميد. فللفظ القرآني تأثيره العجيب، وملمسه السحري في الآذان والعقول والقلوب، فسبحان الذي جعل اللفظ القرآني هادي القلوب، ومنير الأفكار والعقول، الذي سحر أهل اللغة منذ نزوله ببيانه وفصاحته، وأعجزهم بتنسيقه وتنظيمه.

التوصيات:

بناء على ما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج فإنها توصي بما يأتي:

1. إجراء مزيد من الدراسات القرآنية حول جماليات ألفاظ القرآن الكريم ودلالاتها العامة والخاصة.
2. العمل على تشجيع مؤسسات التعليم والمعاهد والجامعات على دعم الدراسات القرآنية في سبيل زيادة وعي الإنسان المسلم بعظمة القرآن الكريم، وأهميته ومكانته.
3. تأسيس منصات إلكترونية تعنى بالدراسات اللفظية في القرن الكريم، وتعمل على وضع معاجم إلكترونية خاصة باللفظ ودلالاته.
4. تخصيص حلقات متلفزة تبحث فيها جماليات اللفظ القرآني وعلاقته التناسبية بين السور المكية والمدنية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى. (د.ت).*روح البيان*. بيروت: دار الفكر.

الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (1412هـ).*المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. تحقيق: علي عبد الباري عطية ، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. (1997). *إعجاز القرآن*. ط1، القاهرة: دار المعارف.

بدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي. (2005). *من بلاغة القرآن*. (ط1). القاهرة: دار نهضة مصر.

برهان، علي. (2017).*فصاحة القرآن الثابتة والتطور اللغوي المتغير*. *مجلة التربية العربية وآدابها* . مجلد (1)، العدد (1)، ص92- 110.

البسيوني، محمود. (1406هـ). *تربية الذوق الجمالي*. ط1، القاهرة: دار المعارف.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1997). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش، ط4، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر. (د.ت). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، ط1، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البوطي، محمد سعيد رمضان. (1999). *من روائع القرآن*، ط1، مؤسسة الرسالة: بيروت.

التوحيدي، أبو حيان. (1951).*الهوامل والشوامل*. تحقيق: أحمد أمين، أحمد صقر، ط1، القاهرة: المكتبة الأزهرية.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (1418هـ).*الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (2002). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*.تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجرجاني، عبد القاهر (2003).*دلائل الإعجاز في علم المعاني*، ط1، (تحقيق: ياسين الأيوبي) بيروت: المكتبة العصرية

أبو جقيم، مأمون سليمان (2009).*جماليات التعبير القرآني في سورة الحج، دراسة أسلوبية دلالية*. رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المفرق– الأردن

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1987). *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*. ط4، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا) بيروت: دار الملايين.

ابن الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. (1990). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية .

حمادي، جبير صالح. (2007). *التصوير الفني في القرآن الكريم*. ط1، القاهرة: مؤسسة المختار.

الحمداني، نوفل يونس. (2013). *صورة المؤمن في التعبير القرآني، دراسة فنية*. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي.(1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط1، بيروت: دار الفكر.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (1989). *نظرية التصوير الفني عند سيد قطب*. ط2، السعودية: دار المنارة.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2000). *إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني*. (ط1) عمان: دار عمار للطباعة والنشر.

دحماني، نور الدين. (211-2012). *بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني، مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء*، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران: الجزائر.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. (1415هـ).*إعراب القرآن وبيانه*. ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق، بيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (1420هـ). *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*. ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

رواس، عبد الفتاح. (1411هـ). *مدخل إلى علم الجمال الإسلامي*، ط1، دمشق: دار قتيبة.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الملقب بمرتضى الزبيدي. (د.ت). *تاج العروس في جواهر القاموس*، ط1، الرياض: دار الهدى.

الزحيلي، وهبة مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط1، دمشق: دار الفكر المعاصر.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (2000).*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم. (1993). *بحر العلوم*. تحقيق علي معوض. عادل عبد الموجود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن. (1331هـ). *النجاة*. ط1. القاهرة: مطبعة مصر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. (د.ت).*الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. ط1، بيروت: دار الفكر.

الشامي، صالح أحمد. (1986).*الظاهرة الجمالية في الإسلام*. ط1، سوريا: المكتب الإسلامي.

الشعراوي، محمد متولي. (1997). *تفسير الشعراوي- الخواطر*. ط1، القاهرة: مطابع أخبار اليوم.

الشنقيطي، حمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني. (1995). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. ط1. بيروت: دار الفكر.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي. (2000). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عاشور، محمد بن محمد بن الطاهر. (1984). *التحرير والتنوير أو تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. ط1. تونس: الدار التونسية.

عبد التواب، صلاح. (1995). *الصورة الأدبية في القرآن الكريم*. (ط1). القاهرة: الشركة المصرية العالمية.

عبد الرحمن، مروان محمد سعيد. (2006).*دراسة أسلوبية في سورة الكهف*. رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية. نابلس– فلسطين.

عبد العال، محمد قطب. (2006). *من جماليات التصوير في القرآن الكريم*. (ط2) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبده، مصطفى. (1999). *المدخل إلى فلسفة الجمال محاور نقدية وتحليلية*. ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي.

عرابي، رباب كامل. (2008). *التربية الجمالية رؤية إسلامية*. ط1. عمان: دار النفائس.

العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال. (د.ت). *الفروق في اللغة*. تحقيق: محمد إبراهيم، بيروت: دار العلم للثقافة والنشر

عصفور، جابر. (1992).*الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب*. (ط3). بيروت: المركز الثقافي العربي.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422هـ).*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عيسات، سعد قدور. (2015). *جماليات المثل في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية*. رسالة ماجستير. جامعة وهران. الجزائر.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (1979). *مقاييس اللغة*.(تحقيق: عبد السلام هارون).ط1. بيروت: دار الفكر.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (2003). *كتاب العين مرتبا على حروف المعجم*، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد. (1999). *قاموس المحيط*، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين. (1964). *الجامع لأحكام القرآن*،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي المعروف بسيد قطب. (2000).*التصوير الفني في القرآن*،(ط9)، بيروت: دار الشروق.

ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أبي بكر. (1987). *الفوائد*، ط1. القاهرة: دار الريان للتراث.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي.(1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط1، دار الكتب العلمية. بيروت: منشورات محمد علي بيضون.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود. (2005).*تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)*. تحقيق: د. مجدي باسلوم. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946).*تفسير المراغي*. ط1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (1984).*المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية. القاهرة، الناشر: دار الدعوة.

مطلوب، أحمد. (1980). *البلاغة العربية ، المعاني والبيان والبديع*. ط1. العراق: وزارة التعليم العالي.

المناوي، محمد عبد الرؤوف. (1410هـ). *التوقيف على مهمات التعريف*. ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1994).*لسان العرب*. (ط3)، بيروت: دار صادر.

نظمي، محمد عزيز. (1415هـ).*علم الجمال الاجتماعي*. ط1، القاهر: دار المعارف.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. (د.ت).*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

ياسوف، أحمد. (2006). *الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف*. (ط2). دمشق: دار المكتبي.

يونس، عيد سعد. (2006). *التصوير الجمالي في القرآن الكريم*،(ط1)، القاهرة: عالم الكتب.

Romanization

Holy Qur'an

Al-Istanbuli, Ismail Haqqi Bin Mustafa. (N.D). *Roh Al-Bayan*, (in Arabic), Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Isfahani, Al-Hussein Bin Muhammad, Known as Al-Ragheb Al-Isfahani. (1412 AH). *Al-Mufradat fi Gharib al-Quran*, (in Arabic), Investigated by Safwan Adnan Al-Dawoody, 1ed, Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiyyah.

Al-Alusi, Shihab El-Din bin Abdullah Al-Husaini. (1415 AH). *Ruh al-Ma'ani fi Tafsiri-Al-Qur'ini Al-'Azim Wa Al-Sab'u Al- Mathani*, (in Arabic), Investigation: Ali Abd Al-Bari Attiah, 1ed, Beirut: Dar al kotob al-ilmiyah.

Al-Baqillani, Abu Bakr Muhammad Bin Al-Tayyeb. (1997). I'jaz Al-Qur'an (Inimitability of the Qur'an) (in Arabic). 1st ed, Cairo: Dar Al-Ma'arif.

Badawi, Ahmed Ahmed Abdullah AL-Bayli. (2005). *Min Balaghat Al-Qur'an (eloquence of the Qur'an) (in Arabic)*. (1st ed). Cairo: Dar Nahdet Misr Publishing House.

Burhan, Ali. (2017). *Fixed eloquence of the Qur'an and the changing language development*, (in Arabic). Journal of Arabic Education and Literature. Vol (1), Issue (1), pp. 92-110.

Al-Basyuni, Mahmoud. (1406 AH). *Aesthetic Education,* (in Arabic). 1st ed, Cairo: Dar Al-Ma'arif.

Al-Baghawi, Abu Muhammed Al-Hussein Bin Massoud. (1997). *Ma'alem al-Tanzeel Fi Tafsir Al-Qur'an,* (in Arabic). Investigation and Hadith verification: Muhammad Abdullah Al- Nimer, Othman Jum'a Damirieh and Suleiman Msallam Al-Hersh. 4th ed, Riyadh: Dar Tibah for Publishing and distribution.

Al-Biqa'I, Ibrahim Bin Umar Bin Hasan Al-Ribat Bin Ali Bin Abi Bakr. (N.D). *Nazm Al-Durar Fi Tanasub Al-Ayat Wa Al Suwar*, (in Arabic). 1st ed, Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami.

Al-Bouti, Muhammad Said Ramadan. (1999). *Masterpiece of The Al-Qur'an*, (in Arabic), 1st ed, Al-Risala Foundation: Beirut.

Al-Tawhidi, Abu Hayyan. (1951). *Al-Hawamil Wa Al-Shawamil*, (in Arabic). Investigation: Ahmad Amin, Ahmad Saqir. 1ed, Cairo: Al-Azharia Library.

Al-Tha'alibi, Abu Zaid Abd Al-Rahman Bin Muhammad Bin Makhlouf. (1418AH). *Al- Jawahir Al-Hisan Fi Tafsir Al-Qur'an*, (in Arabic), investigation: Sheikh Muhammad Ali Mu'awad and Sheikh Adel Ahmad Abd Al-Mawjud, Beirut: Dar Ihyat Al-Turath Al-Arabi.

Al-Tha'alibi, Ahmad Bin Muhammad Bin Ibrahim. (2002). *Al-Kashf Wa Al-Bayan 'an Tafsir Al-Qur'an,* (in Arabic). Investigation: Imam Abi Muhammad Bin Ashour. Review and investigation: Nazir Al-Sa'idi, 1st ed, Beirut: Dar Ihyat Al-Turath Al-Arabi.

Al-Jurjani, Abd Al-Qahir. (2003). *Signs of Miracles in Semantics,* (in Arabic), 1st ed, (Investigation: Yasin Al-Ayoubi) Beirut: Al-Maktabah Al-Asriyyah.

Abu Jaqim, Ma'moun Sulaiman (2009). The *Aesthetics of Quranic Expression in Surat Al – Hajj: A Stylistic and Semantic Study*, (in Arabic). Master Thesis, Al-AlBayt University, Mafraq, Jordan.

Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail Bin Hamad. (1987) *Al-Sihah, Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiyah*, (in Arabic). 4th ed, (Investigation: Ahmad Ab Al-Ghafour Ata). Beirut: Dar Al-Malayin.

Ibn Al-Hakim, Abu Abdallah Al-Hakim Muhammad Bin Abdallah Bin Muhmmad Bin Hamdaweyah Bin Nu'aim Bin Al-Hakam Al-Dabi Al-Tamhani Al-Naisabouri, Known as Ibn Al-Bay'. (1990). *Al-Mustadrik 'ala Al-Sahihayn* (in Arabic). Investigation: Mustafa Abd Al-Qadir Ata. 1st ed, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Hmadi, Jubair Saleh. (2007). *Artistic Imagery in the Holy Qur'an* (in Arabic). 1st ed, Cairo: Al-Mukhtar foundation.

Al-Hamadani, Nofal Yunis. (2013). *Believers Image in the Gur'anic Expression, Artistic study,* (in Arabic), 1st ed, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Abu Hayyan, Muhammad Bin Yusuf Bin Ali Bin Yusuf Bin Hayyan Athir AL-Din Al-Andalusi. (1420 AH). *AL-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir, investigation: Sidqi Muhammad Jamil*, (in Arabic), 1st ed, Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Khaldi, Salah Abd Al-Fattah. (1989). *Sayyid Qutb's Theory of Artistic Imagery*, (in Arabic). 2nd ed, Saudi Arabia: Dar Al-Manarah.

Al-Khaldi, Salah Abd Al-Fattah. (2000). *Rhetorical Inimitability of the Quran and Evidences of its Divine Source, (in Arabic).* (1st ed). Amman: Dar Ammar for Publishing & Distribution.

Dahmani, Nour Al-Din. (2011-2012). *Rhetoric of artistic image in the Qur'anic Narrative discourse, Analtycal approach of the Performance and Suggestiveness Aesthetics,* (in Arabic), Doctoral thesis, University of Oran: Algeria.

Darwish, Muhyi Al-Din Bin Ahmad Mustafa. (1415 AH). *I'rab Al-Qur'an wa Bayanuhu*, (in Arabic), 4th ed, Dar Al-Irshad lil Sho'oun Al-Jami'iya, Damascus, Beirut: Dar Al-Yamamah, Dar Ibn Kathir.

Al-Razi, Muhammad Bin Omar Bin al-Hasan Bin Sl-Hussein Al- Taimi Al-Razi, Nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi,Khatib Al-Rai. (1420 AH). *Mafatih al-Ghaib or al- Tafsir al-Kabir (Great Interpritation),* (in Arabic), 3rd ed, Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi.

Rawas, Abd Al-Fattah. (1411AH). *Introduction to Islamic Aesthetics*, (in Arabic), 1st ed, Damascus: Dar Qutaibah.

Al-Zabidi, Muhammad Bin Muhammad Bin Abd Al-Razaq, nicknamed Murtada Al-Zabidi. (N.D). *Taj al-'arous Fi Jawahir al-Qamous*, 1st ed, Riyadh: Dar Al-Huda.

Al-Zahili, Wahbeh Mustafa. (1418AH). Al-*Tafsir Al-Munir Fi Al-Aqidah Wa Al-Shari'a Wa Al-Manhaj*, 1st ed, Damascus: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir.

Al-Sa'di, Abd Al-Rahman Bin Naser Bin Abdullah (2000). *Taysir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir kalam al-Mannan*, (in Arabic), Investigated by Abd Al-Rahman Bin Mu'alla Al-Luwaiheq, 1st ed, Beirut: Al-Resala Foundation.

Ebussud Al-Emadi, Muhammad Bin Muhammad Bin Mustafa (N.D). *Irshad al-Aql al-Salim ila Mazaya al-Quran al-Karim*, (in Arabic), 1st ed, Beirut: Dar Ihya' Al Turath Al-Arabi.

Al-Samarqandi, Nasr Bin Muhammad Bin Ahmad Bin Ibrahim (N.D). *Bahr Al-Ulum,* (In Arabic), investigation: Ali Mu'awad. Adel Abd Al-Mawjoud. 1st ed, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn Sina, Abu Ali Al-Hussein Bin AbdAllah Bin Al-Hasan. (1331AH). *Al-Najat (Survival),* (in Arabic). Cairo: Matba'at Masr.

Al-Suyuti, Abd Al-Rahman Bin Abi Bakr, Jalal Al-Din. (N.D). *Al-Dur Al-Ma'thur Fi Al-Tafsir Bi Al- Ma'thhur*, (in Arabic). 1st ed, Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Shami, Saleh Ahmad. (1986). *Aesthetic Phenomenon in Islam*, (in Arabic), 1st ed, Syria: Al-Maktab Al-Islami.

Al-Sha'rawi, Muhammad Metwalli. (1997) *Tafsir al-Sha'rawi- Al-Khawater (Al-Sha'rawi's Quran Interpretation)*, (inArabic). 1st ed, Cairo: Dar Akhbar al-Ulum.

Al-Shanqiti, Hamad Al-Amin Bin Muhammad Al-Mukhtar Al-Janki. (1995). *Adwa' al-Bayan fi Idah al-Qur'an bi-al-Qur'an*, (in Arabic). 1st ed, Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Tabari, Muhammad Bin Jarir Bin Yazid Bin Kathir Bin Ghalib Al-Amali. (2000). *Jami' Al-Bayan Fi Ta'wil Al-Qur'an*, (in Arabic). Investigation: Ahmad Muhammad Shakir, 1st ed, Beirut: Al-Resala Foundation.

Ibn Ashur, Muhammad Bin Muhammad Bin Al-Taher. *Al-Tahrir Wa Al-Tanwir or Tahrir Al-Ma'na Al-Sadid Aa Tanwir Al-'Aql Al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid,* (in Arabic). 1st ed, Tunisia: al-Dar al-Tunisia.

Abd Al-Tawwab, Salah. (1995). *Literary Image in The Holy Qur'an*, (in Arabic). (1st ed). Cairo: Egyptian International Publishing Co.

Abd-Elrahman, Marwan Mohamed Saed. (2006). Stylistic Study in Alkahf Sura. Master Thesis. An-Najah National University. Nablus- Palestine.

Abd Al-Al, Muhammad Qutub. (2006). *From The Aesthetics Of Imaging in the Holy Quran*, (in Arabic). (2nd ed). Cairo: General Egyptian Book Organization.

Abdo, Mustafa. (1999). *Introduction to the Philosophy of Beauty, critical and analytical axes*. 1st ed, Cairo: Madbuli bookshop.

Arabi, Rabab Kamil. (2008). *Aesthetic Education*, Islamic Vision. 1st ed. Amman: Dar Al-Nafa'is.

Al-Askari, Al-Hasan Bin Abdullah Bin Sahl Abu Hilal. (N.D). *Al-Furooq Al-Lughwiyyah (linguistic differences)*, (in Arabic). Investigation: Muhammad Ibrahim, Beirut: Dar Al-Ilm Lil Thaqafa Wa Al-Nashir.

Asfour, Jaber. (1992). *Artistic Image in the critical and Rhetorical Heritage among Arabs*. (3rd ed). Beirut: Al-Markaz Al- Thaqafi Al-Arabi.

Ibn Atiyyah, Abu Muhammad Abd Al-Haq Bin Ghalib Bin Abd Al-Rahman Bin Tammam (1422 AH). *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz*, (in Arabic). Investigation: Abd Al-Salam Abd Al-Shafi, 1st ed, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmeyah.

Eisat, Sa'd Qaddour. (2015). *Aesthetics of proverbs (Al-Mathal) in the Holy Qur'an, a Stylistic Study, (in Arabic).* Master Thesis. University of Oran. Algeria.

Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmad Bin Faris Bin Zakaria. (1979). *Maqayis Al-Lugha (The measures of the lexicon)*, (in Arabic). Investigation: Abd al-Salam Haroun, 1st ed, Beirut: Dar al-Fikr.

Al-Farahidi, Al-Khalil Bin Ahmad. (2003). *Kitab al-'Ayn (Book of the [Letter] 'Ayn) arranged in alphabetical order*, (in Arabic), Investigation: Abd Al-Hamid Hindawi, 1st ed, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah.

Al-Fairouzabadi, Majd Al-Din Muhammad. (1999). *Al-Qamus al-Mohit*, (in Arabic). 1st ed, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah.

Al-Qurtubi, Muhammad Bin Ahmad Bin Abi Bakr Bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din. (1964) *Al-Jame' Li Ahkam Al-Qur'an*, Investigation: Ahmad Al-Badouni and Ibrahim Itfaish, 2nd ed, Cairo: Dar Al-Kotob Al-Masriyah.

Qutub, Sayyid Qutub Ibrahim Hussein Al-Shathli, Known as Sayyid Qutub. (2000). *Artistic Imagery in The Qur'an*, (9th ed), Beirut: Dar Al-Shurouq.

Ibn Al-Qayyim Abu Abdullah Shams Al-Din Bin Muhammad Bin Abi Bakr. (1987). *Al-Fawa'id (The Benefits),* 1st ed. Cairo: Dar Al-Rayan Lil-Turath.

Ibn Kathir, Abo Al-Fidaa Ismail Bin Umar Bin Kathir Al-Qurashi Al-Basri Thum Al-Dimashqi (1419 AH). *Tafsir al-Qur'an al-Adhim (interpretation of the Great Qu'ran),* (in Arabic). Investigation: Muhammad Hussein Shams Al-Din, 1st ed, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut: Publications of Muhammad Ali Baydoun.

Maturidi, Abu Mansur Muhammad Bin Muhammad Bin Mahmoud (2005). *(Tafsir al-Maturidi) (Interpretations of Ahl Al Sunnah)*, (in Arabic), investigation: Dr. Majdi Basalloum, 1st ed, Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah.

Al-Maraghi, Ahmad Bin Mustafa. (1946). *Tafsir Al-Maraghi (Interpritation of The Maraghi)*, (in Arabic). 1st ed. Cairo: Mostafa Al-Babi Al- Halabi & Sons Press.

Mustafa, Ibrahim, et al. (1984). *Al-Mu'jam Al-Wasit,* (in Arabic), Arabic Language Academy. Cairo: Dar Al-Da'wa.

Matlub Ahmad. (1980). *Arabic Rhetoric, Senses, Eloquence and Metaphor*. 2nd ed. Iraq: Ministry of Higher Education.

Al-Munawi, Muhammad Abd Al-Ra'uf. (1410AH). *Al-Tawqif A'la Mahamat Al-Ta'rif*, (in Arabic). 1st ed, Beirut: House of Contemporary Thought.

Ibn Manzur, Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad Bin Makram (1994). *Lisan al-Arab*, (in Arabic). (3rd ed), Beirut: Dar Sader.

Nathmi, Muhammad Aziz. (1415AH). *Social Aesthetics*, (in Arabic). 1sted, Cairo: Dar Al-Ma'arif.

Al-Nishapuri, Muslim Bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qashiri (N.D). *Al-Musnad Al-Shahih Al-Mukhtashar Bi Naql Al-'Adl 'An Al-'Adl Ila Rasulillah shallallahu'alaihiwasallam*, (in Arabic), investigation:Muhammad Fu'ad Abd Al-Baqi. Beirut: Dar I'hya' Al-Turath.

Yasuf, Ahmad. (2006). *Artistic image in the Prophetic Hadith*, (in Arabic). (2nd ed). Damascus: Dar Al-Maktabi.

Yunis, E'ID Sa'd. (2006). Aesthetic Imagery in the Holy Qur'an, (in Arabic), (1st ed), Cairo: Alam Al-Kotob.